

البابا شنودة الثالث

عشرة معايير



البابا شينودة الثالث

عشرة
مفاهيم

How to understand
ten Definitions

By : H.H. Pope Shenouda III



**مثلث الطوبى قداسة البابا شنودة الثالث
بابا الكسنديرية وبطريك الكرازة المرقسية الـ ١١٧**



قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريق الكرازة المرقسية الـ ١١٨

الكتاب : عشرة مفاهيم .
المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث .
الناشر : الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس .
المطبعة : الأنبا رويس الا وفت - العباسية القاهرة .
رقم الإيداع بدار الكتب : ١٠٦٩٤ / ١٩٩٣ .

I.S.B.N. 977 - 00 - 6213 - 8

مقدمة الكتاب

ما أكثر ما تختلف المفاهيم في عصرنا الحاضر .

وكل إنسان يعبر عن رأيه الخاص . وقد يكون بين تلك الآراء تناقض واحد ، سواء في ذلك الكتاب أو المفكرون أو الفلاسفة أو المرشدون ... وقد يجتار شبابنا ، أو حتى الكبار . ويسألون : أين الحقيقة ؟

لذلك رأينا أن نصدر هذا الكتاب ، الذي سيكون جزءاً من منهج مدارس التربية الكنسية في كنائسنا .

نتحدث فيه مع الشباب عن مفهوم القوة ، ومصادرها ، ومجالاتها : قوة الروح ، وقوة النفس ، وقوة الإرادة ، وقوة الأعصاب ، وقوة الشخصية عموماً ، وقوة الصلاة ، وقوة الإيمان . فليست القوة للجسد فحسب ..!

وكذلك نتحدث عن مفهوم الحرية ، وحدود الحرية ، وكيف أنه لا توجد حرية مطلقة . وإنما هناك الحرية التي تحترم الآخرين وحقوقهم ، كما تراعى القانون والنظام العام ، وأيضاً وصايا الله ... الحرية الداخلية التي تحررت من الأخطاء ، ولا تضر نفسها .

نشرح أيضاً في هذا الكتاب مفهوم الراحة والتعب ، وكيف يمكن أن يتعب الجسد لتستريح الروح ويستريح الضمير . أو يتعب الإنسان لكي يريح غيره . كذلك مفهوم راحة الجسد ، والراحة الأبدية .

يشرح الكتاب أيضاً مفهوم الطموح ، السليم منه والخطيء .

ويشرح مفهوم الخطية ، وخطورتها ونتائجها على الإنسان ...

كما يوضح أيضاً مفهوم العثرة : متى تحسب عثرة ؟ سواء إن كانت سبباً في الخطية . والتعريف بالخطية ، أو تسهيلها أو مذاقتها . ومتى يكون الإنسان بريئاً من إعتار غيره . وما هي مصادر العثرة وأنواعها .

كذلك يشرح الكتاب مفهوم الحب والصدقة، والفرق بين الحب والشهوة.
والصدقة الحقيقية التي لا تضر.

كذلك يتحدث الكتاب عن مفهوم الوداعة وأهميتها، والفرق بين الوداعة والطرادة
في الطبع، والعلاقة بين الوداعة والشجاعة، والمجالات التي يفقد فيها الإنسان
وداعته.

يشرح الكتاب أيضاً مفهوم الحق بكل معانيه. ويتحدث عن خطورة أنصاف
الحقائق. والعلاقة بين الحق والعدل، والحفاظ على حقوق الآخرين. وما معنى الدفاع
عن الحق وكيف يكون. كما يذكر أن الحق هو الله، من يبعد عن الحق، يبعد عن
الله.

ويختتم الكتاب بفصل عن مفهوم المعرفة: النافع منها، والضار.
وختاماً نرجو من الله أن يكون هذا الكتاب قد أدى الغرض منه، لمنفعة شعبنا
وأولادنا.

البابا شنودة الثالث

ديسمبر ١٩٩٣

١

مفهوم القُوَّة

طبعاً القوة صفة محبوبة . وكل إنسان يحب أن يكون قوياً . والمفروض في أولاد الله أنهم أقوياء .

ولكى نتحدث عن مفهوم القوة ، نذكر النقط الآتية :

١- القوة صفة من صفات الله

في الثلاث تقديسات نقول «قدوس الله القوي ..» وفي تسبحة البصخة نقول « لك القوة والمجد ..» ونحن نختم الصلاة الربية بقولنا «لأن لك الملك والقوة والمجد» (مت ٦ : ١٢) . وحينما تحدث الوحي الإلهي عن روح الله ، قال «روح المشورة والقوة» (أش ١١ : ٢) ... وعملية الخلق ، وإقامة الموتى ، وكل المعجزات دليل على قوة الله ...

ومادام الله قوياً ، ونحن قد خلقنا على صورة الله ، وعلى شبهه ومثاله (تك ١ : ٢٧) . إذن المفروض فينا أن نكون أقوياء . وهذا ينقلنا إلى النقطة الثانية وهي :

٢ - الله قوى ، وهو أيضاً مصدر كل قوة حقيقية :

ولذلك نردد في تسبحة البصخة قول المرتل في المزمور «قوتى وتسبحتى هو الرب ، وقد صار لي خلاصاً» (مز ١١٨ : ١٤) . ويقول المزمور أيضاً «أحبك يا الله قوتى» . وفي ترجمات أخرى «أحبك يا الله يا قوتى» (مز ١٨ : ١) . ولهذا يقول الوحي الإلهي في سفر زكريا النبي «لا بالقدرة ولا بالقوة ، بل بروحي قال رب الجنود» (زك ٤ : ٦) . لهذا كله قال الكتاب «اختار الله ضعفاء العالم ليخزي بهم الأقوياء» (١كو ١ : ٢٧) ... فلماذا؟ قال القديس بولس «ليكون فضل القوة لله لا منا»

(٢ كو٤ : ٧) . ولكى يكون الله مصدر قوتنا ، ما أجل أن نقول مع بولس الرسول :

« أستطيع كل شيء فى المسيح الذى يقوينى » (فى ٤ : ١٣) .

نعم ، نحن نريد أن نكون أقوياء ، ولكن ليكن الله هو مصدر قوتنا . هو الذى يقويننا . لا نعتمد على قوتنا الخاصة ، بل على قوته هو . نقف أمامه كضعفاء ، لناخذ القوة منه . أتذكر أننى كتبت مرة فى مذكرتى :

« قال الشيطان لله : اترك لى الأقوياء فإننى كفىل بهم . أما الذين يشعرون بضعفهم ، فإنهم يلجأون إليك ، ويحاربونى بالقوة التى يأخذونها منك ، فلا أقدر عليهم » ...

مصادر القوة

طبعاً المصدر الرئيسى هو الله وحده . وهكذا قال الرب لتلاميذه « ولكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم » (أع ١ : ٨) . وقال بولس الرسول « أستطيع كل شيء فى المسيح الذى يقوينى » (فى ٤ : ١٣) .

كل الأسباب التى قد يذكرها البعض : من جهة قوة الشخصية ، وقوة الفكر ، وقوة النفس ، وقوة الإرادة ، وقوة الروح ... كلها من غير الله لا تأتى بنتيجة . لأن السيد الرب قد قال :

« بدونى لا تقدرّون أن تفعلوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥) .

ولكن إذا دخلت قوة الله فى حياتك ، ستظهر إذن فى كل تلك الأمور .. اطلب إذن القوة من الله ، لكى تغنى بتلك التسبحة الجميلة :

« قوتى وتسبحتى هو الرب . وقد صار لى خلاصاً » (مز ١١٨) .

لهذا قد يستغرب البعض عندما يسمعون الرب يسوع يقول لتلاميذه « من يؤمن بى ، فالأعمال التى أنا أعملها ، يعملها هو ، ويعمل أعظم منها » (يو ١٤ : ١٣) !! ولكن هناك فارق هام جوهرى وهو :

السيد المسيح يعمل المعجزات بقوته الذاتية .

أما المؤمنون فيعملون المعجزات بقوته هو.

وقد تكون المعجزة عظيمة جداً، ولكنها ليست بقوتهم هم، إنما بقوة الرب العامل فيهم، هذا الذي قال لهم «بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً» (يو ١٥: ٥).

المفروض أن يكون أولاد الله أقوياء، ولكن على شرط أن يكون مصدر قوتهم هو الله نفسه. ولا يكونون أقوياء يعتمدون على قوتهم الخاصة أو يفتخرون بها...

هذا شرط أساسى فى قوة أولاد الله.

انظروا إلى داود: كان بلا شك أضعف من جليات الجبار المفتخر بقوته. كما كان ينسب كل القوة لله، إذ قال لذلك الجبار «أنت تأتي إلىّ بسيف ورمح وبترس، وأنا آتى إليك باسم رب الجنود... اليوم يحبسك الرب فى يدي... لأن الحرب للرب، وهو يدفعكم ليدنا» (١ صم ١٧: ٤٥-٤٧).

وهكذا انتصر داود على جليات. لأن جليات كان يحارب بقوته البشرية. أما داود فكان يحارب بقوة الله.

كذلك فإن الروحانيين، فى كل أعمالهم، ينسبون القوة إلى الله.

إن القديس بطرس ويوحنا، لما أقاما الأعرج عند باب الجميل، التف الناس حولهم مذهولين من المعجزة، قال القديسان للشعب «ما بالكم تتعجبون من هذا؟! ولماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا أو بتقوانا قد جعلنا هذا يمشى؟!» (أع ٣: ١٢)، ثم وجهها أنظار الناس إلى السيد المسيح الذى صلبوه «وبالآيمان باسمه، شدد إسمه هذا الذى تنظرونه... وأعطاه الصحة أمام جميعكم» (أع ٣: ١٦).

الله قوته غير محدودة. والبشر أقوياء بالله.

وهناك فصل من رسالة القديس بولس الرسول نتلوه فى سيامة الرهبان، نقول لهم فيه «أخيراً يا أخوتى..، تقووا فى الرب، وفى شدة قوته. البسوا سلاح الله الكامل، لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكاييد إبليس» (أف ٦: ١٠، ١١)... وكأننا نقول لهم أنكم مقدمين على حرب مع الشيطان وجنوده تحتاج إلى قوة. وهذه القوة لا بد أن تكون القوة الإلهية التى تقويكم.

ما هي إذن عناصر القوة التي يجب أن تتصفوا بها؟

قوة الروح

يظن بعض الشباب أن القوة تعني القوة الجسدية، التي يظهر بها أبطال الملائكة والمصارعة والكاراتهيه. قوة من نوع قوة شمشون الجبار (قض ١٣ : ١٦).

★ ولكن ليست القوة الجسدية هي كل شيء .

بل أن كثيرين من الأقوياء بالجسد، كانوا ضعفاء .

إن شمشون الجبار الذي انتصر بالجسد على كثيرين، كان ضعيفاً أمام إغراء دليلة وحبه لها. وقد ضعف أمام إلحاحها، فكشف لها سره، فحلقت شعره، وسلمته لأيدي أعدائه، ففقأوا عينيه، وأوثقوه بسلاسل، وجعلوه يطحن في بيت السجن (قض ١٦ : ١٩-٢١).

وداود الذي هزم جليات الجبار (١ صم ١٧)، وكان منذ صباه « جبار بأس ورجل حرب » (١ صم ١٦ : ١٨). هذا الجبار كان ضعيفاً أمام جمال بثشبع، فسقط وأخطأ. واستحق أن يعاقبه الرب، وقد جعل أعداء الرب يشمتون (٢ صم ١٢ : ٧-١٤).

هنا ونقرأ ما قاله القديس يوحنا الحبيب للشباب في رسالته الأولى :

« كتبت إليكم أيها الشباب (الأحداث) لأنكم أقوياء، وكلمة الله ثابتة فيكم . وقد غلبتم الشرير » (١ يوح ٢ : ١٤).

هنا نوع آخر من القوة وهو أن تغلب الشرير (أي الشيطان).

★ إذن القوى هو الذي يغلب الخطية .

ويغلبها لأن كلمة الله ثابتة فيه . لأن وصية الله ثابتة في قلبه . أما الإنسان المغلوب من الخطية، فلا نستطيع أن نقول عنه إنه قوى . توجد نقطة ضعف فيه، يستطيع الشيطان أن يدخل منها ويهزمه ...

الروح القوية تنتصر على الجسد، وعلى المادة والشيطان .

مهما تعرضت لحروب روحية قوية ، تقاوم حتى الدم (عب ١٢ : ١٤) ، وتجاهد وتطلب معونة من الله ، ولا تستسلم مطلقاً ، حتى تنتصر ، كما فعل يوسف الصديق (تك ٣٩) .

الروح القوية لا تسمح لنفسها أن تستعبد لعادة من العادات . ولا تقبل أن تنهزم مهما كانت الحرب عنيفة ... ومهما كان خداع الشيطان ، ومهما كانت حيله ... إنها أقوى من إغرائه ومن كل خداعه وحيله .

كذلك المغلوب من إحدى العادات ، هو إنسان ضعيف ...

المغلوب مثلاً من عادة التدخين ، أو من المسكرات ، أو الواقع تحت سلطان إدمان المخدرات ، ليس هو قوياً ، لأنه ضعيف أمام كل هذه العادات . وهو أمامها لا يمكن أن يملك السلطان على إرادته . بل العادة أو الإدمان هما السلطان على إرادته وتصرفاته ، وقد يقودانه إلى الجريمة .

قوة النفس

النفس القوية لا تقلق ، ولا تضطرب ، ولا تخاف ، ولا تنهار ، ولا تتردد ...

إنها كالجنادل في النهر ، تصدمها المياه والأمواج ، على مدى السنين والقرون ، وهي ثابتة في مكانها . وكالجبال تصدمها الرياح والأمطار والسيول ، دون أن تتأثر ... هكذا الإنسان القوي في نفسه : يقول مع داود النبي « إن يحاربني جيش ، فلن يخاف قلبي ، وإن قام عليّ قتال ، ففي ذلك أنا مطمئن » (مز ٢٧ : ١) .

الإنسان القوي هو إنسان صامد ، أمام المشاكل العويصة ، وأمام التهديدات . هو قوي من الداخل ، مهما كان الضغط من الخارج .

أما الضعيف ، فإنه يتخيل مخاوف ، وينزعج بسببها .

وربما لا يكون لها وجود ! ولكنه بسبب خوفه الداخلي ، يتوقع أن تأتيه المتاعب ، فيتعب بدون سبب !!

الإنسان القوي لا يضع أمامه احتمال الفشل أو الإلتهزام . كما قال القديس بولس

الرسول « إن الله لم يعطنا روح الفشل ، بل روح القوة » (٢تى ١ : ٧) « لذلك لا نفشل » (٢كو ٤ : ١٦) ... مهما كانت المحاربات والمتاعب والضيقات ... كل هذه لا تدخل إلى القلب فتتعبه .

الإنسان القوى يتعامل مع الضيقات وهي خارجه .

أما الضعيف فيدخلها إلى قلبه وأعصابه فتتعبه .

هذه هي قوة النفس التي اتصف بها الناجحون في حياتهم .

الطالب الضعيف يدخل إلى الامتحان . فإن وجد سؤالاً صعباً ، يعرق ويتصبب ويدوخ ، وينسى كل ما كان قد حفظه !! أما الطالب القوى فيفكر في الحل ، ويبدأ بالسهل فيتقوى ، ويعود إلى الصعب ليحله ...

في الواقع إن المفهوم الحقيقي للقوة ، ينبغى أن يتركز على القوة الداخلية .

فقد يبدو البعض قوياً من الخارج ، بينما هو ضائع تماماً من الداخل . قد يسمع كلمة إهانة ، فيقول من الخارج « الله يسامحك » ... بينما في الداخل يتقد غضباً وحقداً ... إن تحويل الخد الآخر (مت ٥ : ٣٩) - كما قال أحد القديسين - هو الخد الداخلي ، أعنى الاحتمال في الداخل ، والمسامحة الداخلية ، ولوم النفس .

أيضاً القوة الداخلية هي الانتصار على النفس من الداخل .

فليس القوى هو الذى ينتصر على الآخرين ، إنما هو الذى ينتصر على نفسه .

وكما قال أحد القديسين : إن القوة الغضبية قد وضعت في الإنسان ، لا لكي يغضب على الآخرين ، إنما لكي يغضب على نفسه إذا أخطأ .

وحسناً قيل في المزمور « كل مجد إينة الملك من داخل » (مز ٤٥ : ٤) . فإذا انتصرت على نفسك من الداخل ، يمكنك أن تنتصر على كل الأمور الخارجية ... حينئذ يمكنك أن تغلب كل الأعداء الخارجيين . وصدق القديس يوحنا ذهبى الفم حينما قال « لا يستطيع أحد أن يؤذى إنساناً ، ما لم يؤذ هذا الإنسان نفسه » ...

★ إذن من عناصر القوة ضبط النفس .

الذى يضبط لسانه هو إنسان قوى ، حسب شهادة القديس يعقوب الرسول (يع ٣ :

(٢) . وما أكثر الأشخاص الذين نقطة الضعف فيهم هي أخطاء اللسان . ويدفعوا ثمن ذلك غالباً .

كذلك الإنسان القوي هو الذى يستطيع أن يضبط أفكاره . فلا تهزمه الأفكار، وتسرح به حيثما تشاء ، وتوقعه في خطايا كثيرة .

والإنسان القوي هو الذى يضبط نفسه وقت الغضب . ويضبط نفسه وقت الصوم، من جهة الطعام والشراب . ويضبط نفسه من جهة الوقت، فلا يضيعه في المتعة واللهو، ويفشل في مسئولياته ...

قوة الأعصاب

★ هناك لون آخر من القوة ، هو قوة الأعصاب .

الإنسان الضعيف الأعصاب : أقل كلمة تثيره وتهيجه ، وتجعله يفقد هدوءه، ويفقد سيطرته على نفسه، ويخطئ في تصرفاته وفي ألفاظه ، ويكون موضوع نقد من الآخرين ... لأن أعصابه ضعيفة لم تحتمل ، مهما كان قوياً في نواح أخرى .

حقاً إن الأعصاب مسألة جسدية، ولكن العامل النفساني يؤثر عليها . فالإنسان الواقع في خطية الغضب، تجد أن أعصابه تلتهب بسرعة، كذلك الإنسان الواقع في محبة الذات، وفي الكرامة الشخصية: أقل كلمة تلمس كرامته، أو يظن أنها تلمس كرامته، تتعب أعصابه، لأن أعصابه لا تستطيع أن تحتمل .

مسألة الأعصاب هي نقطة ضعف فيه .

لذلك قال الرسول : يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعفات الضعفاء (رو ١٥ : ١) . فالذى يعتدى على غيره هو الشخص الضعيف، بينما الذى يحتمل القوى . هو الجبل الراسخ الذى لا تثيره أخطاء غيره ضده .

هذا الجبل مهما ألقى أحد عليه طوباً ، يبقى راسخاً لا يتزعزع .

أما الذى يثور ويحاول أن ينتقم ويسىء إلى غيره، هو إنسان مغلوب من ذاته، وليس مغلوباً من غيره . أقل كلمة تتعبه وتفقده هدوءه وتلف أعصابه .

أما القوى ، فهو قوى في أعصابه ، وقوى في احتماله .
إذن الذى يحتمل هو القوى . والذى يهين غيره هو الضعيف .

ليتك إذن تمتحن نفسك ، وترى ما هى ضعفاتك ، وتبذل كل جهدك فى الانتصار عليها ... إن القوى ليس هو الشخص الذى ينتصر على غيره ، إنما هو الذى يستطيع أن ينتصر على نفسه . لأن البعض يظن أنه منتصر وقوى من الخارج . بينما هو فى داخله ضعيف ومهزوم .

ليس فقط يحتمل إساءات الناس ، إنما أيضاً يحتمل الأحداث والمشاكل .

يحتمل المتاعب التى تتعب غيره . يحتمل الأمراض والضيقات والحوادث .

لقد كان السيد المسيح قوياً فى احتماله . كان قوياً فى احتماله التحدى وهو على الصليب ، وقولهم له « إن كنت ابن الله انزل من على الصليب » ... وهكذا نقول له فى القداس الإلهى « احتملت ظلم الأشرار » .

إن الاعتداء سهل . يمكن لأى إنسان ضعيف النفسية أو ضعيف الخلق أن يعتدى على غيره . أما القوى فهو الذى يحتمل .

فى الحياة الزوجية : إن كان الطرفان ضعيفين لا يحتملان ، قد يخرب البيت ! أما إذا كان أحدهما على الأقل قوياً ، يمكنه أن يحتمل الطرف الآخر ، حينئذ يمكن أن يستمر السلام بينهما ...

قد يوجد إنسان ضعيف ، لا يحتمل . ممكن أن خيراً معيناً يجعله ينهار : يؤثر على أعصابه ، على نفسيته ، على أفكاره . صحته لا تحتمل ، يرتفع ضغط دمه ، أو قلبه لا يحتمل . وربما يقع على الأرض . لم تكن له القوة التى يحتمل بها ذلك الخبر!! ننتقل إلى نقطة أخرى :

قوة المحبة

يقول الكتاب « المحبة قوية كالموت ... مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة . والسيول لا تغمرها » (نش ٨ : ٦ ، ٧) .

المحبة قوية من الناحية الإيجابية ، فيما تقدمه من بذل وعطاء ، وتصل إلى بذل

الذات من أجل من تحبه ...

وهي قوية - من الناحية السلبية- في احتمالها لأخطاء من تحبه، مهما فعل .
ولذلك قال عنها الرسول « المحبة لا تسقط أبداً » (١ كور ٣ : ٨) .

أما الإنسان الذي يفقد محبته لصديق أو حبيب، بسبب كلمة قيلت أو في
مخطف، فقد تكون محبته ضعيفة .

المحبة استطاعت أن تصعد على الصليب، لكي تخلص وتفدى .

المحبة القوية احتملت انكار بطرس، وشك توما، وهروب التلاميذ وقت القبض
على المعلم الصالح... المحبة القوية يمكن أن تشمل الأعداء والمسيئين، وتبارك لاعنيها
(مت ٥) .

قوة الشخصية

★ من أبرز ما يميزها قوة العقل والفكر.

إنسان قوى في ذكائه، في سرعة البديهة، في قوة الإقناع، في روعة الفهم
والاستنتاج. له قوة الحجة، وقوة الأسلوب، وقوة الذاكرة... لذلك إذا دخل في أي
موضوع، يسنده بالفكر القوي، الذي يمكن أن يجذب الآخرين فيخضعون لمنطقه .
لا يسير وراء كل شائعة، ولا وراء كل مذهب. بل يفكر ويفحص الأمور جيداً، في
ذكاء ويتمسك بما هو أفضل... وبذكائه وفهمه، يكون ناجحاً في كل مسئولية تعهد
إليه. ويقف قوياً أمام المشكلة، لا تهزمه، بل يحلها، أو يحتملها إلى أن تحل .
أما الذي ينهار أمام المشاكل، فليس هو قوياً .

★ الشخصية القوية التي لا تنقاد إلى مشورة خاطئة. هي التي تؤثر في غيره، دون
أن تكون تحت تأثير الغير، إلا مشورة الروحانيين... وليس معنى القوة في الشخصية أن
يكون الإنسان عنيداً صلب الرأي، بل أن يكون قوياً في الخير. سهلاً في التفاهم،
ولكن ليس ألعوبة في أيدي الغير.

هناك أشخاص لهم القوة التي تؤثر في الغير. وهؤلاء هم الذين يصلحون للخدمة

وللقيادة . بعكس الإنسان الضعيف في تفكيره ، فإنه مهما كان قوياً في جسده ، أو عظيماً في مركزه ، يمكن أن يقوده شخص آخر إلى جواره ، يكون أذكى منه وأعمق فكراً ...

قد تحدث مشكلة لإنسان ، ويرفض كل نصيحة ، ومهما قيل له لا يقتنع ... إلى أن يحدثه شخص آخر ، فيؤثر عليه . ويستمع لنصيحته . كلماته قوية وفعالة ، ولها تأثيرها ، ولا ترجع فارغة ...

قوة التأثير هذه تنفع في الإرشاد الروحي وخدمة الكلمة وجذب الآخرين .

بل تنفع أيضاً في محيط الصداقة ، وفي مجال العمل الإجتماعي ، ولكل من يتولى إدارة وقيادة . وتنفع أيضاً الكاتب والصحفي . إذ تكون للشخصية قوة وجاذبية وتأثير .

★ هناك إنسان آخر قوى في خدمته وكرازته .

له قوة الكلمة ، وقوة التأثير على الغير ، ويستطيع أن يجذب النفوس إلى الله . وكلمته لا ترجع فارغة (أش ٥٥ : ١١) بل باستمرار تأتي بثمر . من أمثلة هذا النوع ، كان القديس بولس الرسول ، ومارمرقس ، والقديس أثناسيوس الرسولي الذي وقف ضد الأريوسيين ، ونشر الإيمان السليم ... وكذلك كل أب كاهن روحي عميق في تأثيره الروحي ، وكل واعظ وخادم ناجح في خدمته .

ونريد أن نقول إن الوداعة لا تتعارض مع القوة .

فقد كان السيد المسيح قوياً ووديعاً في نفس الوقت .

كان « لا يخاصم ولا يصيح » وفي نفس الوقت كانت له قوة الإقناع وقوة الشخصية . وكان يفهم مقاوميه في كل حوار .

قوة الإرادة

من مظاهر القوة أن تكون للشخص قوة إرادة ، قوة عزيمة . يستطيع إن أراد ، أن ينفذ ... فإذا دخل في تدريب مثلاً : يمكنه إذا بدأ ، أن يستمر وينفذ . أما الإنسان الضعيف ، فقد يريد ولا يستطيع . وقد يبدأ ولا يستمر .

ومن مظاهر الإرادة ، ضبط النفس .

فالإِنسان القوي يمكنه أن يضبط نفسه ، سواء في وقت الغضب ، أو رغبة الانتقام .
كذلك يضبط نفسه أمام الشهوة ، وعندما يُحارب بأية خطية .. القوي يمكنه أن يضبط
لسانه ، وأن يضبط حواسه ، ويضبط فكره .

إن كان مريضاً بالسكر مثلاً ، يمكنه أن يضبط نفسه من جهة الأطعمة الممنوعة ..
وهنا أقول : إن الإنسان الذي لا يستطيع أن يضبط نفسه عن الطعام - في مرض أو
صوم - كيف يمكنه أن يضبط نفسه أمام أية شهوة أو أية خطية ؟!

هناك إنسان قد يكون ضعيفاً أمام إغراء معين .

أمام إغراء وظيفي ، أو إغراء مالي ، أو إغراء شهواني ... لا يستطيع أن يحتمل .
يغلبه ضعفه ، أو تغلبه شهوته ، فيسقط ... وقد يرتد !!

آخرون يضعفون أمام المجد الباطل ، أمام كلمات المديح والإطراء .

أما الشهداء والمعترفون فكانوا في منتهى القوة أمام كل الإغراءات .

قوة الصلاة والإيمان

★ نوع آخر من القوة ، هو قوة الصلاة .

الصلاة القوية في إيمانها ، وفي حرارتها ، وفي انسحاقها وفي روحياتها ، التي يمكن
أن تصعد إلى السماء وتأتي بالاستجابة .

كثيرون يشعرون بقوة الشخص الذي له مثل هذه الصلاة ، ويلجأون إليه في
مشاكلهم لكي يحلها الله لهم على يديه ...

صلاة الآباء الرسل كانت قوية جداً ، لدرجة أنه قيل عنهم « ولما صلوا ، تزعزع
المكان الذي كانوا مجتمعين فيه ، وامتلاً الجميع من الروح القدس » (أع ٤ : ٣١) .
إنها الصلاة القوية التي تصعد إلى فوق ، وتستطيع أن تدخل إلى عرش الله ، وتأخذ منه
ما تريد ...

أترى هل لك مثل هذه الصلاة ، التي قد يلجأ إليها الآخرون ... يمكنك أن تقرأ عن
مثل هذه الصلاة في سير القديسين ، الذين ائتمنوا على مخازن الله ، فكانوا يأخذون منها

بصلواتهم ويمنحون الناس ...

الصلاة القوية ، صلاة حارة ، مملوءة بالإيمان .

إن الإيمان القوى يمنح الصلاة قوة .

وقوة الصلاة مع قوة الإيمان، تعملان معاً .

بقوة الإيمان مشى بطرس على الماء . ولما ضعف إيمانه بدأ يغرق . فأنقذه الرب
ووبخه قائلاً « يا قليل الإيمان، لماذا شككت ؟ » (مت ١٤ : ٣١) .

الإيمان القوى يستطيع أن يصنع المعجزات . يكفى قول الكتاب :

« كل شيء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣) .

أليشع ذهب مع المرأة الشونمية ، وهو واثق أنه سيقوم ابنها (٢مل ٤ : ٣٥) .
وهكذا فعل إيليا مع أرملة صرفة صيدا وأقام ابنها (١مل ١٧ : ٢٢) .

الإيمان القوى يؤمن أن الرب سيأتى ، ولو فى الهزيع الرابع من الليل . ولا بد
سيعمل عملاً ... إنه يؤمن أن لعازر سيقوم ، ولو بعد أربعة أيام من دفنه .

إنه إيمان لا يتزعزع مهما (تأخر) الله عليه ، أو خيّل إليه أن صلواته لم تستجب .
إيمان لا يشك فى محبة الله ، مهما أحاطت به الضيقات واستمرت ، ومهما « على ظهره
جلده الخطاة وأطالوا إثمهم » (مز ١٢٩) .

قوة الإيمان ليست فقط من جهة الثقة بعمل الله .

بل تظهر قوة الإيمان فى مواجهة الهراطقة .

مثل قوة إيمان القديس أثناسيوس الذى وقف ضد أفكار الأريوسيين ، وكل ما
قدموه من شكوك . ولكن الإيمان الذى كان فى قلبه ، كان أقوى من كل شكوكهم ...

بعكس الإيمان الضعيف الذى لا يصمد أمام الشك ، ولا يصمد أمام البدع

والهرطقات .

٢

مفهوم الحرية

نود في هذا الباب أن نعرض على التوالي بعض المفاهيم، لأمر معين في الحياة الروحية، والحياة الاجتماعية.

وسنبداً بموضوع الحرية وناقشه معاً، مع أبنائنا الشباب :

أولاً : إن الله يحب لكل إنسان أن يكون حراً.

وقد خلق الإنسان بإرادة حرة . وقال له في آخر سفر التثنية :

« انظر . قد جعلت اليوم قدامك : الحياة والخير، والموت والشر... أشهد عليكم اليوم السماء والأرض . قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة . فاختر الحياة، لكي تحيا أنت ونسلك . إذ تحب الرب إلهك ، وتسمع لصوته وتلتصق به ، لأنه هو حياتك... » (تث ٣٠ : ١٥ - ٢٠) .

* * *

ثانياً : يقابل الحرية حساب ومسئولية .

فالإنسان أو الكائن غير الحر، لا يحاسب على أفعاله . أما مع الحرية فيوجد حساب على كل ما يفعله الإنسان خيراً كان أو شراً . فينال المكافأة على أعماله الخيرة . كما توقع عليه العقوبة في أعماله الخاطئة أو الشريرة .

آدم وحواء كانا حرين . وأمامهما وصية الله . يمكن أن يطيعاها أو يخالفها . وقد خالفا الوصية . وأوقع الله على كل منهما عقوبة مسببة (تك ٣ : ٩ - ١٩) .

والعقوبة على الخطأ الذي يفعله الإنسان بحريته، هي عقوبة مزدوجة : على الأرض وفي السماء . وقد ينجو الإنسان من العقوبة على الأرض . ولكن تبقى العقوبة في العالم الآخر قائمة، لا تمحى إلا بالتوبة (لو ١٣ : ٣ ، ٥) .

كما أن الخير الذي يفعله الإنسان بحرية إرادته ، له مكافأة مزدوجة أيضاً . وإن لم ينل الإنسان مكافأة على الأرض ، فأجره محفوظ في السماء « أبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية » (مت ٦ : ٤ ، ٦) .

* * *

ثالثاً : ليس من حقك إطلاقاً أن تنال حرية مطلقة .

فأنت حرّ في كل ما تفعله ، بحيث أنك لا تعتدى على حقوق أو حريات الآخرين . وبحيث أنك لا تكسر وصايا الله ، ولا تخالف القانون والنظام العام الذي جعل من أجل سلامة وراحة الآخرين ...

فليس من حقك مثلاً أن تتركب سيارة وتخالف قواعد المرور، وتقول : أنا حر، أسير حيثما أشاء!! وليس من حقك أن ترفع صوتك في ضوضاء تزعج بها الآخرين، وتقول : أنا حرّ أرفع صوتي كما أشاء!! وليس من حقك أن تأخذ معك ورقة تغش بها في الامتحان ، وتقول أنا حرّ، استعمل ما أشاء من أوراق!!

كذلك كما تستخدم حريتك ، بحيث لا تضر الآخرين ولا تخالف النظام العام . فأنت أيضاً من حقك أن تستخدم حريتك ، بحيث لا تضر نفسك .

لأن نفسك ليست ملكاً لك . إنها ملك لله الذي خلقها وفداها ، وملك أيضاً للمجتمع الذي رعاك ورباك ، وله عليك حقوق يجب أن تؤديها ...

ولذلك فقتل الإنسان لنفسه بالانتحار، جريمة يعاقب عليها الله . ولا يوافق عليها القانون . ونفس الوضع ينطبق على من يضر نفسه عن طريق التدخين أو المخدرات . فليس من حقه أن يقول أنا حرّ، أدخن كما أشاء، وأتعاطى المخدرات كما أشاء!!... لأنه ليس من حقه أن يهلك نفسه . وليس من حقه أن يجرم المجتمع من وجوده مؤدياً واجبه نحو المجتمع .

* * *

رابعاً : الضوابط التي توضع على الحرية، هي لفائدتك وليست لتقييدك .

ومن فائدتها أنها تمنعك عن الإضرار بنفسك ، ومن الإضرار بغيرك ، ومن الإضرار بالمجتمع ، ومن مخالفة وصايا الله ...

النهر له شاطئان ، لا يقيدان مجراه ، وإنما يحفظانه .

وإذا لم تكن للنهر شواطئ ، فإنه سينسكب ويفيض على الجانبين ، ويفرق الأرض ، ويحولها إلى مستنقعات . أترى يستطيع أى نهر أن يحتج على وجود شاطئين له ، ويقول إنهما يقيدان حرיתי؟!!

كذلك أنت : الشاطئان بالنسبة إليك ، هما وصايا الله ، وقوانين أو تقاليد المجتمع . أو الشاطئان هما الدين والتربية . وكلاهما لفائدتك . فالطفل الذى يرفض التربية ، ويحسبها تقييداً لحريته ، والشاب الذى يرفض نصيحة أبويه أو معلميه أو مرشديه ، ويرى ذلك تقييداً لحريته ، لا بد أنه سيفسد ، ويفقد الطريق السليم السوى ، ويضلّ ... فهل الضلال هو إسم آخر للحرية ، أو نتيجة لها؟!!

* * *

خامساً : الحرية الحقيقية هى أن يتحرر الإنسان من الأخطاء .

فيتحرر من الخطايا والسقطات ، ويتحرر من العادات الرديئة . يتحرر قلبه من كل المشاعر الرديئة ، ويتحرر عقله من الأفكار المنحرفة ومن كل خطأ فكري ... يتحرر أيضاً من الخضوع للشيطان وكل أعوانه . ويتحرر من تأثير الصحبة الرديئة والمعاشرات المفسدة . ويتحرر من كل قيادة تفرض سلطانها على إرادته ، لتقوده حسب هواها فى مسيرة منحرفة .

هذه هى الحرية ، التى قال عنها الكتاب « إن حرركم الإبن ، فبالحقيقة تكونون أحراراً » (يو : ٨٦ : ٣٦) .

* * *

سادساً : الذى يتحرر داخله من الخطيئة ، يمكنه أن يستخدم الحرية الخارجية بطريق سليم .

فمثلاً الذى يتحرر من الكراهية والقسوة والعنف والظلم ، يستطيع أن يستخدم حرته فى التعامل مع الناس بطريق سليم . أما إن كان ظالماً أو قاسياً ، وقال أريد أن استخدم حرיתי فى التعامل كما أشاء... فإنه سوف يؤذى غيره بقسوته وبظلمه ، أو

بعدم تحرره من القسوة والظلم ...

كذلك الذى لم تتحرر عفته من الشهوات الجسدية ، فإنه حينما يستخدم حرите لتنفيذ شهواته ، لابد سيؤذى نفسه وغيره . وفيما يظن أنه يستخدم حرите ، يكون قد أضاف قيوداً جديدة على عفته ونقاوته .

وأيضاً الفتاة التى تقول ألبس كما أشاء ، وأضحك وأهوى كما أشاء . وبهذا الأسلوب تعثر غيرها وتسقطه ، وتسقط هى أيضاً معه ... هذه الفتاة لم تتحرر بعد من الداخل . لذلك تستخدم حريتها الخارجية بطريقة ضارة لها ولغيرها ...

والطالب الذى يلعب طول العام ويهمل دروسه ، ويقول أنا حرّ!! إنما يضر نفسه باسم الحرية الخاطئة ويفقد مستقبله . لأنه لم يتحرر فى الداخل من سيطرة اللهو عليه ...

إذن نصيحتنا لك : استخدم حريتك لفائدتك وفائدة غيرك .

وتحرر أولاً من الداخل ، قبل أن تمارس الحرية الخارجية .

* * *

سابعاً : يضبط البعض على نفسه ، ليصل إلى الحرية الحقيقية .

فلا يعطى ذاته كل ما تطلب ، لئلا يصل إلى تدليل النفس ، ويفقد سيطرته على نفسه ، وبالتالي يفقد حرите الحقيقية .

وهكذا يدخل هذا الإنسان فى تداريب روحية لضبط النفس ، لضبط اللسان فلا يقع فى أخطاء . لضبط الأعصاب حتى لا يثور ويفقد فى غضبه معارفه وأصدقاءه . وأيضاً تداريب لضبط الفكر، حتى لا يسرح فى أمور تضره . بل يدخل فى تداريب لضبط الحواس ، وضبط الجسد بالصوم والسهر ، وضبطه فى البعد عن الشهوات حتى لا ينساب فى الملاهى والملاذ الجسدية ويفقد روحياته .

هل يجوز أن يقول أحد أسلك حسب هواى ، بحريتى ، ولا بضبط نفسه ويفصها على عمل الخير؟!!

وإن سلك هكذا ، أكون حرّاً أم مقيداً بشهواته؟!!

٣

مفهوم الراحة والتعب

أنواع من الراحة

موضوع الراحة ورد في أول الكتاب المقدس ، في قصة الخليقة ، حيث قيل « وبارك الله اليوم السابع و قدسه ، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً » (تك ٢ : ١٢) .

إنها الراحة الخاصة بإتمام العمل أو إكمال العمل .

إن كل شخص يكمل عمله ، يشعر براحة ...

والرب الإله استراح في اليوم السابع من عمله خالقاً .

واستراح في يوم الأحد يوم القيامة ، لإتمامه عمله في الخلاص ، في تخليص الناس من الخطية والموت .

* * *

وتوجد راحة أخرى ينتظرها العالم ، وهي الراحة الأبدية .

هذه التي سوف لا يكون بعدها تعب ولا مرض ولا شقاء ، إلى الأبد ... وكل الأسباب التي كانت تدعو إلى التعب تزول أيضاً .

* * *

وهناك راحة أخرى تسبقها ، وهي راحة الإنسان بعد الموت .

حيث يستريح الإنسان من تعب هذا العالم . ويستريح من شغب الجسد وثقله . ومن الجو الشرير الموجود في البيئة والمجتمع . وكما يقول الكتاب ... « ... لكى يستريحوا

من أتعابهم ، وأعمالهم تتبعهم» (رؤى ١٤ : ١٣) لذلك عندما يموت إنسان ، نقول إنه تنيح ، أى استراح .

* * *

هناك أنواع أخرى من الراحة ، أثناء حياتنا على الأرض .

فالتعب بلا شك له أنواع ، والراحة لها أنواع :

فهناك راحة للجسد ، وراحة للفكر ، وراحة للنفس ، وراحة للقلب وللشعور . وأيضاً هناك راحة الضمير . وتوجد راحة نفسية ، وراحة روحية . ونود أن نتكلم عن كل هذه بالتفصيل . ولنبدأ براحة الجسد .

راحة الجسد

إن الله نفسه أراد للجسد أن يستريح .

هو الذى خلق الجسد ، ويعرف أن طبيعته تحتاج إلى راحة . لذلك منحه اليوم السابع من الأسبوع لكى يستريح فيه . عملاً من الأعمال لا يعمل فيه . وقال عن راحة السبت « السبت إنما جعل لأجل الإنسان ، وليس الإنسان لأجل السبت » (مر ٢ : ٢٧) . وكذلك مواسم الرب وأعياده ، قال عنها « عملاً ما لا تعملوا » (لا ٢٣ : ٣ ، ٧) ... إذن لا بد أن نعطي الجسد ما يحتاج إليه من راحة .

* * *

راحة الجسد ليست خطية ، إنما هى وصية إلهية .

بحيث يتصرف الإنسان بعقل . لا يرهق الجسد بحيث يتعب فوق الطاقة . ولا يريجه أزيد مما يحتاج بحيث يصل إلى الكسل أو الخمول .

أتذكر أن أحد أساتذة الطب فى لندن قال لى « أنا لا أستطيع أن أمنعك عن الـ Hard work فطبيعة مسئوليتك تستدعى ذلك . ولكنى أمنعك عن الـ Over Work . ويقصد بهذا أن العمل الذى يعمله الإنسان بعد أن يصل إلى الإرهاق فيجب حينئذ أن يقف ولا يستمر . وإن استمر بعد الإرهاق أو الإعياء ، يكون هذا الـ Over work .

كما قال لي أيضاً البروفسور : إن العمل الذي تعمله بفرح ورضى ، لا يؤذى قلبك . أما العمل الذي تعمله وأنت متضايق ومتبرم ، فهو الذي يتعب صحتك . فالعمل بلذة لا يرهق ...

* * *

إذن هناك علاقة بين راحة النفس وراحة الجسد .

لو كانت النفس مستريحة ، تستطيع أن تحمل الجسد . ولو تعبت النفس ، لا يحتمل الجسد أقل مجهود . وفي راحة الجسد ، يقول بعض العلماء ، لا تترك الجسد يعمل مدة طويلة بلا راحة ، إنما وسط العمل الطويل اعطه فترات راحة ولو دقائق . وهذه يسمونها بالإنجليزية Break أى تكسر حدة العمل الطويل ، بشيء من الراحة .

* * *

الجسد أيضاً يتعبه المرض ، ويجعله في حالة عدم احتمال .

وكثيراً ما يكون المريض في حاجة إلى راحة كاملة . يتعبه الكلام إذا هو تحدث . ويتعبه الإصغاء إلى كلام كثير . ويتعبه الصوت ، والحركة . ويتعبه التفكير ، والإلحاح من غيره ... لذلك فإن غالبية المستشفيات تمنع زيارة المرضى إلا في مواعيد محدودة . فلا تظنوا أنكم تريحون المريض زيارته أو كثرة الحديث معه !!

* * *

وراحة الجسد غير الكسل .

الكسل معناه أن الإنسان لديه قدرة على العمل ، ولا يرغب في ذلك . والكسل له نتائج كثيرة سيئة ، سواء في عدم قيام الشخص بمسئوليته . أو من الناحية الصحية قد يصل إلى الوخم أو البلادة . ويفقد الجسد نشاطه الطبيعي الذي يلزمه . كما قد يؤدي به هذا إلى السمنة والترهل .

والمعروف أن الجو الحار المشبع بالرطوبة يساعد على الكسل ، بينما الجو البارد يساعد على النشاط والحركة . والحركة تولد فيه حرارة .

ولذلك فإن الذين يحالون إلى المعاش ، ويقضون بقية حياتهم في المقهى أو البيت أو النادي ، يصيبهم الخمول . بينما الذين يستمرون في العمل والنشاط ، تقوى صحتهم ...

وبالمثل السيدات اللائى يعملن ويتحركن، غير اللائى يجلسن فى البيت بلا عمل،
ويترهلن .

ونحن لا نقصد براحة الجسد، راحة مطلقة .

فالجسد قد يكون فى عمق النوم، ومع ذلك يكون قلبه يعمل فى انتظام، كذلك
جهازه التنفسى، وكذلك المخ، وباقى أجهزة الجسد المتعددة . كلها تعمل أثناء نومه،
وأثناء راحته . وتعمل بكل انتظام، ولكن فى هدوء، وبغير إرهاق . فتعب القلب هو
فى إرهاقه، وليس فى توقفه عن العمل . وكذلك المخ .

لذلك ليست الراحة معناها عدم العمل إطلاقاً . ربما يكون معناها أحياناً تغيير نوع
العمل . وكما يسمون الراحة بالفرنسية Recreation (أى خلق آخر) . فينتقل العقل
من صنع فكر إلى صنع فكر آخر .

لأنه مما يرهق العقل التركيز على فكر واحد .

فإن تعب الإنسان من هذا التركيز، ينتقل إلى فكر آخر . والعقل دائم التفكير .
ولكنه قد يتعب من التفكير العميق إذا استمر فى موضوع واحد مدة طويلة . فيحتاج أن
يترك هذا الموضوع إلى حين، ثم يعود إليه بعد أن يجدد نشاطه .

وأحياناً ترتبط الراحة مع التعب (بتعقل) .

فالإنسان ليستكمل صحته، قد يحتاج إلى تداريب رياضية، يحرك فيها جسده .
والبعض قد يلجأ إلى المشى أو الجرى . وقد يتعب ويحتمل التعب لفائدته الصحية .
ونقول التعب وليس الإرهاق . وهذا ما يحدث أيضاً فى تمرينات العلاج الطبيعى .

التعب بين النفس والروح

هناك مريض إن قيل له إن حالته خطيرة، قد تتعب نفسه، ولكنه يستعد لأبديته

فتستريح روحه . بينما لو خدعوه وصوروا له الأمر بسيطاً لراحة نفسه وشغلوه بمسليات
عالمية ، لا يهتم بروحه وأبديته ، ويهلك !

مثال آخر هو مجاملة إنسان خاطيء بأنه على حق في تصرفه ، تريح بهذا نفسه .
وتهلك روحه ، فلا يلوم نفسه ولا يتوب . وبنفس الوضع النفاق في معاملة الرؤساء ،
وأيضاً تدليل الأطفال . وهنا نضع قاعدة روحية هامة :

إن لم تستطع تبكيت الخطية ، فلا تبررها .

فإنك بتبريرك تصرفات المخطئين ، تشترك معهم في المسئولية .

إيزابل ساعدت آخاب في ظلم نابوت اليزرعيلي وأخذ حقله . فأراحت زوجها
نفسياً ، ولكنها اتعبته روحياً ، واشتركت معه في العقوبة (أمل ٢١) .

إن من يكذب ليخرج من مأزق ، يريح نفسه ويتعب روحه .

وبالمثل من يلجأ إلى خدعة توصله إلى غرضه ...

كذلك من لا يحاسب نفسه ويلومها على خطاياها بل ويهاقها أيضاً ، هذا يريح
نفسه ، ولكنه يهلك روحه ... وأسوأ من هذا الذي يحاول أن يبرر نفسه ليستريح ... إنها
راحة زائفة خاطئة !!

ومن الأخطاء في الراحة أيضاً : أن شخصاً يبني راحته على تعب الآخرين .

وتكون هذه الراحة لوناً من الأنانية ومحبة الذات ، وعدم محبة الآخرين . إنه يريح
نفسه ، ويتعب روحه بالأخطاء .

التعب الداخلي

هناك أشخاص لا يوجد سبب خارجي يتعبهم . وإنما تعبهم من الداخل . مما في
قلوبهم من الاضطراب والقلق والشك والخوف والتشاؤم . فكل شيء من الخارج يتعبهم
بدون سبب ... هؤلاء يتعبون أنفسهم . ، دون أن يتعبهم أحد .

راحة ضمير

قد يقبل الإنسان تعب جسده من أجل راحة ضميره، أو راحة روحه .
كالشهداء مثلاً والمعترفين، الذين تحملوا عذابات كثيرة احتملها الجسد، من أجل راحة ضمائرهم بالثبات في الإيمان .

مثال آخر ما احتمله القديس يوحنا المعمدان من سجن . وأخيراً قطع رأسه ، لكي يشهد للحق ، ويقول للملك المخطيء « لا يحل لك أن تأخذ امرأة أخيك » (مر ٦ : ١٨) . ومثال آخر ما احتمله القديس أثناسيوس الرسولى من نفى وتشريد ومن أجل الدفاع عن الإيمان ضد الأريوسيين . كذلك ما احتمله يوسف الصديق من سجن في سبيل راحة ضميره العفيف ، وقوله « كيف أفعل هذا الشر العظيم ، واخطيء إلى الله » (تك ٣٨ : ٩) .

كذلك ما يتحملة الرعاة من تعب في الجسد .

لكي يريحوا الشعب من جهة ، ولكي تستريح ضمائرهم من جهة أدائهم لواجبهم الرعوى .

وينطبق على هذا أيضاً كل من يسلك في أسلوب البذل والعطاء والأمانة في العمل ... يتعب جسدياً ، لكي يسترخ ضميره ، وتستريح روحه في أداء الواجب . إنه لا يبحث عن راحته الشخصية ، إنما عن راحة غيره .

أيضاً طالب العلم الذى يتعب ، فيريح ضميره من جهة مستقبله . ويكون مبتهجاً بتعبه ، لأنه أراح نفسه ..

وبنفس الوضع كل الذين يجاهدون ، في تعب وكد ، من أجل هدف كبير يسعون إليه . وكما قال الشاعر:

إذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجساد

حتى في الجهاد الروحي أيضاً :

لا بد أن يتعب الإنسان ، وبجاهد الجهاد الحسن ، ليريح ضميره الروحي ، ولكي تستريح روحه في الله - وقد قال الرسول موبخاً « لم تقاوموا بعد حتى الدم ، مجاهدين ضد الخطية » (عب ١٢ : ٤) .

وهناك من يتعب جسده ، وفي نفس الوقت يتعب روحه .

فلا هو أدرك سماء ، ولا أرضاً . كالذي يتعب أعصابه بالغضب ، ويتعب صحته بالتدخين وبالخطايا الشبابية ...

وبينما الإنسان الروحي يتعب من أجل البر ، يتعب الخاطيء تعباً باطلاً ... ومن هذا التعب الباطل ، تعب الشياطين في إغراء البشر .

في الخدمة

الخادم يتعب ، فيريح ضميره ، ويريح غيره .

وكما قال الرسول « كل واحد سينال أجرته بحسب تعبته » (١كو ٣ : ٨) . وهكذا تعب القديس بولس في الخدمة ، لبناء الملكوت وخلص أرواح الناس ... والخادم الذي لا يتعب جسدياً لأجل الخدمة ، لن يستريح روحياً ، ولا تستريح الخدمة ...

④

مفهوم الطمُوح

الطمُوح

الطمُوح هو الرغبة في الازدياد ، والتطلع باستمرار إلى قدام .

هو حالة إنسان لا يكتفى ، ولا يجب أن يقف عند حد .

فهل هذا خطأ أم صواب ؟ هل هو وضع روحى أم غير روحى ، طبيعى أم غير طبيعى ؟ يستمر فيه الإنسان أم يقاومه ؟ إنه سؤال هام نجيب عليه الآن ، من حيث نوعية الطمُوح واتجاه مساره .

* * *

الطمُوح هو شئ طبيعى . جزء من طبيعة الإنسان .

فكيف ذلك ؟ نقول إن الإنسان قد خُلق على صورة الله ومثاله . والله غير محدود . فكيف يكون الإنسان على صورة الله في هذه الصفة بالذات ، بينما الله هو الوحيد غير المحدود ؟ الإجابة هى :

لقد أوجد الله في الإنسان اشتياقاً إلى غير المحدود .

مادام الإنسان لا يمكن أن يكون غير محدود في ذاته ، لأن هذه صفة الله وحده ، لذلك أصبحت عدم المحدودية يمكن أن تكون في رغباته وفي طموحاته ... كلما يصل إلى وضع ، يشاق إلى ما هو أعلى ، وما هو أفضل ، في النطاق المسموح به للإنسانيته ، بحيث «لا يرتشى فوق ما ينبغى ... بل يرتشى إلى التعقل» (رو ١٢ : ٣) .

مادام الإنسان على صورة الله ، إذن فالطمُوح شئ طبيعى .

* * *

ولكن يختلف الطموح من شخص لآخر .

وحسب نوع الطموح يُحكم عليه بأنه خير أو شر...

لكي تمتثلوا إلى كل ملء الله « (أف ٤ : ١٨ : ١٩) .

صدقوني يا أخوتي أنني أقف مبهوراً ومندهلاً، أمام هذه العبارة الأخيرة :

« لكي تمتثلوا إلى كل ملء الله » ... !

مادام طريق الكمال طويلاً جداً إلى هذا الحد، وإلى هذا المفهوم العميق، إذن ينبغي علينا أن لا نسير فيه ببطء أو تكاسل، بل نستمع إلى القديس المختبر وهو يقول « أركضوا لكي تنالوا... » (١كو ١٩ : ٢٤) . ويطبق هذا على نفسه فيقول « إذن أنا أركض هكذا » (١كو ٩ : ٢٦) ... عجباً على هذا القديس، الذي كان مازال يركض، حتى بعد أن صعد إلى السماء الثالثة .

* * *

الطموح المقدس إذن هو طموح روحي .

نحو الهدف الروحي، وبأسلوب روحي .

ومع ذلك هناك طموح آخر، عالمي وخاطيء، فما هو؟

الطموح الخاطيء

إنه طموح مركّز على الذات، ولأهداف عالمية، وربما بوسائل خاطئة...

مثل الطموح في الغنى، في اللذة، في الشهوة، في المال، في الألقاب، في العظمة في المجد الباطل، وما أشبه...

* * *

مثال ذلك الغنى الغبي .

هذا الذي «أخصبت كورته» فقال «أهدم مخازني، وابني أعظم منها، وأجمع هناك جميع غلاتي وخيراتي . وأقول لنفسي: يا نفسي لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين

عديدة . استريحى وكلى واشربى وافرحى » (لوقا : ١٢ ، ١٨ ، ١٩) . وهكذا كان مركزاً فى المادة وحول ذاته . ولم تدخل علاقته بالله فى طموحه . لذلك سمع ذلك الحكم الإلهى « يا غيبى ، فى هذه الليلة ، تؤخذ نفسك منك . فهذه التى أعددتها ، لمن تكون؟! » (لوقا : ٢٠) .

* * *

مثال آخر هو سليمان الحكيم :

كانت طموحاته فى العظمة والرفاهية ، وفى اللذة والنساء . وهكذا قال عن نفسه « عظمت عملى . بنيت لى نفسى بيوتاً ، غرست لى نفسى كروماً ، عملت لى نفسى جنات وفراديس ... قنيت عبيداً وجوارى ... جمعت لى نفسى أيضاً فضة وذهباً ، وخصوصيات الملوك والبلدان . اتخذت لى نفسى مغنين ، ومغنيات ، وكل تنعمات البشر سيدة وسيدات . فعظمت وازددت أكثر من جميع الذين كانوا قبلى فى أورشليم ... ومهما اشتتهه عيناي لم أمسكه عنهما » (جا ٢ : ٤ - ١٠) .

وماذا كانت نتيجة كل هذه الطموحات العالمية؟! يقول سليمان « ثم التفت أنا إلى كل أعمالى التى عملتها يداى ، وإلى التعب الذى تعبته فى عمله ، فإذا الكلى باطل وقبض الريح ، ولا منفعة تحت الشمس » (جا ٢ : ١١) .

نعم ، هذا هو الطموح العالمى الباطل .. وكيف أنه قاد سليمان إلى الخطية وإلى عقوبة الله . وقال عنه الوحي الإلهى « إن نساءه أملىن قلبه وراء آلهة أخرى . ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه ... » (١ مل ١١ : ٤) .

* * *

من الطموحات العالمية أيضاً : الذين بنوا برج بابل .

أرادوا العظمة والعلو . وقالوا « هلم نبين لأنفسنا مدينة ، وبرجاً رأسه فى السماء . ونصنع لأنفسنا إسماء ... » (تك ١١ : ٤) . فكانت النتيجة أن الله بلبل ألسنتهم ، وبددهم على وجه الأرض ... (تك ١١ : ٧ ، ٨) . لأن الله لم يوافق على هذا الطموح الممتزج بحب العظمة والكبرياء ...

* * *

ولكن أسوأ طموح ، كان طموح الشيطان !!

هذا الذى كان ملاكاً ورئيس ملائكة ، هذا الذى لقبه الكتاب بالكاروب المنبسط المظلل . وكان كاملاً فى طرقة يوم خُلق (حز ٢٨ : ١٤ ، ١٥) .

وعلى الرغم من سقوطه استمر فى طموحاته الشريرة .

حتى وصل به الأمر أنه من على جبل التجربة قال للسيد المسيح له المجد ، وهو يشير إلى جميع ممالك الأرض ومجدها « أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى » (مت ٤ : ٨ ، ٩) .. فانتهره الرب قائلاً اذهب يا شيطان .

واستمر فى طموحاته ، يريد أن ينافس الله ، ويضل الأمم الذين فى أربع زوايا الأرض (رؤ ٢٠ : ٨) . ويسبب الارتداد العظيم الذى يسبق المجيء الثانى (٢ تس ٣ ، ٩) .

وبنفس هذا الطموح الخاطيء عمل على إسقاط أبويننا الأولين ، فى الإغراء على الأكل من شجرة معرفة الخير والشر ، قائلاً « تصيران مثل الله عارفين الخير والشر » (تك ٣ : ٥) .

هناك نوع من الطموح يمتزج بالغرور .

غرور سابق للطموح ، وغرور لاحق له ...

أما عن الغرور السابق ، فهو أن يظن الشخص فى نفسه فوق ما يستطيع ويرتقى فوق ما ينبغى (رو ١٢ : ٢) . وربما يقفز إلى درجات روحية فوق إمكانياته ، فلا يحسن منها شيئاً بل يهبط إلى أسفل . أو يطمح إلى مسؤوليات فوق قدراته فيفشل ...

وإن نجح فى شيء ، يلحقه غرور آخر ، فيطلب المزيد ...

إن كثير من القادة السياسيين أضاعهم الطموح الزائد فى الاتساع ومواصلة الانتصار ، حتى انتهوا إلى الفشل والضياع ، مثلما حدث لهتلر ولنابوليون أيضاً ...

إن شهوة الاتساع والامتداد كثيراً ما أتعبت الطامحين .

وأوصلتهم إلى الطمع وعدم الاكتفاء. كما يقول سليمان الحكيم « كل الأنهار تجري إلى البحر، والبحر ليس بملاّن » (جا ١ : ٧) وأيضاً « العين لا تشبع من النظر، والاذن لا تمتلئ من السمع ». وهكذا تجد كثيراً من المحاربين بالطموح العالمى، نفوسهم فى تعب مهما نالوا ومهما أخذوا بسبب شهوة الاتساع والطمع التى لا يشبعها شىء .

الفرق بين التوعين

الطموح الخاطيء : كلما يصل ينتفخ ويتكبر.

أما الطموح الروحى ، فيفرح بالرب فى إتضاع .

إن عمل الإثنان فى المجال الدينى . فصاحب الطموح الخاطيء يجب أن يصل إلى مواهب الروح التى ينال بها مجداً من الناس . أما صاحب الطموح الروحى ، فيسعى إلى نوال ثمار الروح (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣) ، التى يتمتع فيها بمحبة الله وبالفضائل الخفية ... إنه يجاهد فى الروحيات لا ليفتخر بما وصل إليه ، بل لأنه يجد لذة روحية فى الالتصاق بالرب . وكلما وصل ، يزداد اتضاعاً ، عارفاً أن طريق الكمال لا يزال بعيداً . وينظر إلى المثل العليا فى حياة القديسين ، فيرى أنه لم يفعل شيئاً .. ! ومهما وصل فى طموحه يتذكر قول الرب :

« متى فعلتم كل ما أمرتم به ، فقولوا إننا عبيد بطالون » (لو ١٧ : ١٠) .

لذلك فإن قديسين كثيرين وصلوا إلى مستويات عالية جداً ، ومع ذلك كانوا يكونون على خطاياهم . لأنهم كانوا فى طموحهم الروحى ، كانوا يرون درجات أعلى وأعلى ، لم يصلوا إليها بعد ...

إن المقاييس تتغير بين الروحيين وأهل العالم فى طموحهم .

★ الذى عنده طموح عالمى يجب مثلاً أن يزداد فى الغنى ، وتكثر أمواله وأرصده يوماً بعد يوم حتى أنه قد يصاب بالتجلى ... أما الإنسان الروحى ، فإن طموحه هو فى

توزيع ماله على الفقراء، حتى يكون له كنز في السماء...

★ الإنسان الذي عنده طموح عالمي، يجب أن يكون الأول باستمرار، بل الوحيد. ويجب المتكثات الأولى. أما الإنسان الروحي فإن طموحه في أن يكتسب فضيلة الإلتضاع، وأن يأخذ المتكأ الأخير ويضع أمامه قول الرسول «مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة» (روا ١٢ : ١٠). وهكذا يجتهد أن يكون آخر الكل وخادماً للكل (مر ٩ : ٣٥).

وهكذا يتحول إلى إنسان خدوم، يجب الخدمة وينمو فيها. ويحب كل الناس لخدمته لهم.

الطموح العالمي ينافس الناس ليحل محلهم.

أما الطموح الروحي فيساعدهم على الوصول.

إنه لا يزاحم الناس في طريق الحياة، بل بمحبته يفسح الطريق لهم ليسيروا. إنه من كل قلبه يريد أن يصل إلى الله. ولكنه في طموحه يجب أن يسبق غيره، أو أن يعطل غيره ليصل قبله.

لما يشوع بن نون رأى اثنين يتنبآن، أراد أن يردعهما، حيث أن النبوة هي لمعلمه موسى النبي. فوبخه موسى بقوله «هل تقارلى أنت يا ليت كل الشعب كانوا أنبياء، إذا جعل الرب روحه عليهم» (عد ١١ : ٢٦-٢٩).

الذي عنده طموح روحي، يهدف أن يصل إلى قمة الروحيات، من أجل محبته لله، ولكنه لا يفكر أبداً أن يسبق غيره، أو ينافس غيره، أو يتفوق عليه في الروحيات...

الطموح الذي يريد التفوق على الغير، هذا قد انتصرت عليه الذات.

إن طريق الله يتسع لجميعنا، وقمم الروحيات معروضة على الكل. والنعمة مستعدة أن تساعد كل أحد على الوصول. فلماذا التنافس والتزاحم إذن في طريق الطموح، بينما فيه متسع للجميع؟! أتريد في طموحك أن تنتصر على غيرك في

الروحيات؟! لماذا؟! وهل في هذا الإنتصار، تجد روح المحبة التي تسعى إليها في طموحك؟! ..

* * *

أما طموح الإنسان الذي لا يجب فقط أن يكون الأول، وإنما الوحيد... فهو بلاشك طموح شرير.

لأنه في طموحه، لا يريد لغيره الخير. وهذا شرّ. إنه طموح قد انحرف، وتحول إلى محبة الذات، أو تحول إلى الأنانية.

* * *

الطموح الروحي يسعى إلى الارتفاع فوق مستويات معينة، وليس فوق اشخاص معينين.

فمن الجائز أن ترتفع فوق أشخاص معينين، ويبقى مستواك منخفضاً. كما أن رغبة الارتفاع فوق الغير، قد تعصف بك إلى نطاق الحسد والغيرة، مما يتعارض مع روح المحبة الحقيقية. وتظل ترقب هذا الذي ينافسك، وقد تفرح بفشله لأن هذا يعطيك فرصة التفوق عليه. وهكذا تفقد نقاوة قلبك...

إسع إلى الامتياز، وليس إلى الانتصار على الغير. وإن صرت الأول، فهذا حسن جداً. وإن لم تصر. فلا تحسد من صار الأول، بل افرح بتفوقه...

الإنسان الروحي طموحه في أن ينتصر على نفسه، لا على الآخرين.

* * *

وليكن هدفك من السعي إلى الكمال هو إرضاء الله وليس المجد الباطل...

إنها وصية إلهية أن تصير كاملاً (مت ٥ : ٤٨). فإن صرت هكذا، تفرح بإرضاء الله الذي نفذت وصيته. ويكون فرحاً بغير افتخار، وبغير مقارنة بالآخرين.

الإنسان الروحي في الطموح، ينمو باستمرار.

فالنمو صفة عملية للطموح. ولكنه في نفس الوقت يفرح حينما يرى غيره ينمو أيضاً...

الطموح الروحي ينمو في الروحيات : في الصلاة، في التأمل، في معرفة الله، في محبته، في خدمته، في محبة الآخرين.... وكلها ليست مجالاً للتنافس .

إذا صلى، يجب أن ينمو في الصلاة : من جهة الوقت الذي يقضيه مع الله، ومن جهة ما في الصلاة من حرارة ومن عمق وتأمل، ومن حب وإيمان... وهكذا مع باقى الفضائل . باستمرار يمتد إلى قدام .

أما غير الطموح، فقد يتوقف عند وضع معين، ويتجمد . وهذا التوقف قد يؤدي به إلى الفتور .

وفي الحياة العملية ينبغي أن يكون الإنسان طموحاً .

يهدف إلى النجاح في كل ما تمتد إليه يده، كما قيل عن يوسف الصديق إنه كان رجلاً ناجحاً . وكان الرب معه . وكل ما كان يصنع، كان الرب ينجحه بيده (تك ٣٩ : ٢، ٣) .

وهناك ولعل البعض يسأل : هل يتناقض الطموح مع القناعة؟! كلا .

فالقناعة تكون في الماديات، والطموح في الروحيات .

ويتمشى الإثنان معاً . يقويان بعضهما البعض .

يسأل البعض كيف يكون طموحى نحو الكمال، بينما الكمال لله وحده . فأقول له المطلوب منك هو الكمال النسبى، وليس الكمال المطلق... وإن لم تصل إلى الكمال، فعلى الأقل أن تنمو . ويجدك الله سائراً في الطريق، متقدماً كل يوم..

كن كالشجرة التى كل يوم تنمو . فالصديق كالنخلة يعلو .

ولا تجعل طموحك فى أمانتك فى عملك، يعطل طموحك فى روحياتك .

٥

مفهوم الخطيئة

كثيرون يقولون كلمة (أخطأت) بسهولة عجيبة!

دون أن يدركوا مفهومها ، ولا عمق معناها ...

ونحن جميعاً نكرر هذه العبارة في الصلاة الربانية « إغفر لنا خطايانا .. » ونقولها أيضاً في المزمور الخمسين « إليك وحدك أخطأت ، والشر قدامك صنعت » .. ونفس العبارات نقولها في صلاة الثلاثة تقديسات « اغفر لنا خطايانا ، وآثامنا ، وزلاتنا » .. نقول هذا كله في هدوء ، دون أن ندرك خطورة مدلولاته !! فما هي الخطيئة إذن ؟

الخطيئة ضد الله

خطورة الخطيئة إنها أولاً موجهة ضد الله .

لذلك فإن داود يقول للرب في مزمور التوبة « إليك وحدك أخطأت ، والشر قدامك صنعت » (مز ٥٠) ويقول عن الخطاة « لم يسبقوا أن يجعلوك أمامهم » .. أى لم يفكروا أنك أمامهم ، تراهم وتسمعهم .. فالخاطيء كأنه في غيبوبة ، لا يدري ماذا يفعل . يحتاج إلى من يوقظه ويجعله يفيق ، لكي يدري ما يفعل .

تدل الخطيئة على أنك لا تشعر بوجود الله .

فلو كنت تشعر بوجود الله ، ما كنت ترتكبها قدامه ، بدون خجل !! ولعل هذا ما كان يجول بذهن يوسف الصديق وهو يقول « كيف أفعل هذا الشر العظيم ، وأخطيء إلى الله » (تك ٣٩ : ١٠) إذن أنت في الخطيئة ، إنما تخطيء إلى الله قبل كل شيء : تقاومه وتعصاه وتتحداه ، تحزن روحه القدوس ، تدنس سكناه في قلبك ... إلخ .

هل تشعر بكل هذا ، وأنت تخطيء ، أو وأنت تعترف بخطيتك ؟ أم أنت تذكر

الخطية ببساطة، دون أن تشعر بخطورتها وبشاعتها..! كإنسان مريض تسأله عن صحته، فيقول لك: «شئ بسيط... مجرد سرطان.. مجرد إيدز»!! وهو لا يدري معنى سرطان أو معنى إيدز!!

أولاً: الخطية هي التعدي (أيو ٣: ٤).

هي التعدي على وصايا الله، كسر الوصايا، عدم الإهتمام بها.. أو هي التعدي على حقوق الله، وعلى كرامته وعلى أبوته.

معنى الخطية يؤخذ من ناحيتين: من جهة الله، ومن جهة الناس.

الخطية من جهة الله، هي تمرد عليه.

ثورة على الله، وعصيان، وتمرد.. تصوروا حينما يثور التراب والرماد، ويتمرد على الله خالق السماء والأرض.. لاشك أنه لون من الكبرياء، أن يتمرد التراب أمام الله...

إنه قبل أن يكسر الوصية، تكون الكبرياء قد كسرت قلبه من الداخل.

الخطية إذن هي كبرياء وتشامخ.

ولذلك حسناً قيل في سفر الأمثال «قبل الكسر الكبرياء، وقبل السقوط تشامخ الروح» (أم ١٦: ١٨). وبهذا الكبرياء يسقط الإنسان. إن المتضع الذي لصقت بالتراب نفسه، لا يسقط أما المتكبر، فإنه يرتفع إلى فوق ثم يسقط.

الخطية أيضاً هي عدم محبة الله.

وفي هذا يقول القديس يوحنا الرسول «إن أحب أحد العالم، فليست فيه محبة الآب» (أيو ٣: ١٥). إذن فالإنسان أمامه أحد طريقين: إما محبة العالم، أو محبة الله. وواضح أن الخاطيء يفضل محبة العالم على محبة الله، أو قل: يحب ذاته أكثر من

محبه لله . (وطبعاً يجب ذاته بطريقة تهلكها) .

وطبيعي أن الخطية عدم محبة لله ، لأن الخاطيء يعصى الله ويتمرد عليه .

* * *

الخطية عداوة لله ، أو خصومة معه .

وواضح هذا من قول القديس يعقوب الرسول « أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله؟! » (يع ٤ : ٤) .. فإن كانت كلمة (عداوة) صعبة فلنستخدم على الأقل كلمة خصومة . ولهذا فإن حال الخطاة يحتاج إلى مصالحة . وهكذا يقول القديس بولس الرسول إن الله « أعطانا المصالحة » لذلك « نسعى كسفراء عن المسيح .. نطلب .. تصالحوا مع الله » (٢ كور ٥ : ١٨ ، ٢٠) .. لذلك إن كنت إنساناً خاطئاً ، فأنت محتاج أن تتصالح مع الله ...

* * *

وكخصومة ، الخطية هي انفصال عن الله .

لأنه « أية شركة للنور مع الظلمة؟! » (٢ كور ١٦ : ١٤) . فالله نور ، والخطاة يعيشون في الظلمة الخارجية ، إذ قد أحبوا الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة » « لأن كل من يحب السيئات يبغض النور ، ولا يأتي إلى النور ، لئلا توبخ أعماله » (يوح ٣ : ١٩ ، ٢٠) .

الإبن الضال ، حينما أحب الخطية ، ترك بيت أبيه ، وانفصل عنه ، وذهب إلى كورة بعيدة (لو ١٥ : ١٣) . هكذا الخاطيء ينفصل عن الله ، بقلبه وبفكره وبأعماله . وعن هذا الانفصال يقول الرب « أما قلبهم فمبتعد عني بعيداً » (مر ٧ : ٦) .

وبقاء الخاطيء في هذا الانفصال ، وفي هذا البعد ، معناه أن عشرة الله لا تهمه ولا تروق له !! وهكذا فإنه يفض شركته مع الله ، وينهى علاقته به ، ولا تكون له بعد شركة مع الروح القدس ، طالما هو يحيا في الخطية .

* * *

وبالخطية نحزن روح الله القدوس (أف ٤ : ٣٠) .

وهكذا حال الخطية منذ البدء . ففي قصة الطوفان يقول الكتاب « فحزن الله ..

وتأسف في قلبه» (تك ٦ : ٦) .. إن الله يحزن إذ يجد خليقته التي صنعها على صورته ومثاله ، تتحطم أمامه ، وتتدنس أمامه .

وفي الخطية لا نحزن فقط روح الله ، إنما أيضاً نقاومه ونعانده . كما قال القديس اسطفانوس الشماس لليهود في وقت استشهاده : أنتم دائماً تقاومون الروح القدس كما كان آباؤكم (أع ٧ : ٥١) .

بل قد يصل الخاطيء إلى حد يفارقه فيه روح الله .

كما قال الكتاب عن شاوول الملك « وفارق روح الرب شاوول ، وبغته روح ردىء من قبل الله » (١ صم ١٦ : ١٤) . ما أصعب هذا الأمر ، أن يفارق روح الرب إنساناً !!

وإن كان هذا الكلام صعباً عليك ، وتقول في احتجاج « كيف هذا : إن روح الله يفارقنى؟! » سأورد لك الأمر بطريقة أسهل .. فبدلاً من عبارة « روح الله يفاركك » نقول : أنت الذى تفارق روح الله .. وفي كلا الحالتين حدثت مفارقة ، انفصال ، بعد بينك وبين روح الله ...

إن القديس بولس الرسول يتكلم كلاماً صعباً جداً ، وبخاصة من جهة خطية الزنا .

يقول أستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح . أفأخذ أعضاء المسيح ، وأجعلها أعضاء زانية؟! حاشا ..» (١ كو ٦ : ١٥) . إذن الإنسان في هذه الخطية يدنس هيكل الله . وهكذا يقول الرسول « أما تعلمون أنكم هيكل الله ، وروح الله يسكن فيكم ! إن كان أحد يفسد هيكل الله ، فسيفسده الله ، لأن هيكل الله مقدس ، الذى أنتم هو » (١ كو ٣ : ١٦ ، ١٧) .

إذن حينما تقول « أخطأت » حللّ هذه العبارة ، لتعرف ماذا تحوى داخلها ...

أتراها تحمل كل ما ذكرناه من خطايا ، أم تراها تحمل أكثر وأكثر ، وبخاصة ما

تخويه من تفاصيل بشعة ... وبالإضافة إلى كل هذا ، فإن الخطية تدل على معنى آخر:

* * *

الخطية هي استهانة بالبنوة لله .

فإن كنت حقاً ابناً لله ، وعلى صورته ومثاله ، فإنك لا يمكن أن تخطيء . كما يقول القديس يوحنا الرسول إن « المولود من الله لا يخطيء ، بل لا يستطيع أن يخطيء . والشري لا يمس » (١ يوحنا : ٣ : ٩) (١ يوحنا : ٥ : ١٨) . ويقول عن الرب « إن علمتم أنه بار هو ، فاعلموا أن كل من يفعل البر مولود منه » (١ يوحنا : ٢ : ٢٩) .

هل الخاطيء - وهو يخطيء - يكون متذكراً أنه ابن الله . وصورة الله؟! أم يكون وقتذاك متنازلاً عن هذه البنوة وصفاتها . هذه التي يقول عنها الرسول « بهذا أولاد الله ظاهرون ، وأولاد ابليس ظاهرون » (١ يوحنا : ٣ : ١٠) لهذا وبخ القديس بولس المخطئين ، بأنهم « نغول لا بنون » (عب ١٢ : ٨) .

* * *

الخطية هي أيضاً خيانة لله .

لأن الخاطيء أثناء خطيته يكون منضماً لأعداء الله ضده ، أى لإبليس وجنوده ... بل للأسف يكون قد صار واحداً منهم . كما قال الرب موبخاً اليهود « لو كنتم أولاد ابراهيم ، لكنتم تعملون أعمال إبراهيم ... أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا » (يوحنا : ٨ : ٣٩ ، ٤٤) . ويوحنا المعمدان وبخهم قائلاً « يا أولاد الأفاعي » (مت ٣ : ٧) أى أولاد الشيطان .

* * *

الخطية هي أيضاً صلب للسيد المسيح .

وفي ذلك يقول القديس بولس الرسول « لأن الذين استنبروا مرة ، وذاقوا الموهبة السمائية ، وصاروا شركاء الروح القدس ... وسقطوا ، لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة ، إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه ... » (عب ٦ : ٤ - ٦) ... على الأقل ، فإن كل خطاياك لا تغفر إلا إذا حملها المسيح على صليبه . كأنك بخطاياك تضيف ثقلاً على صليب المسيح ، وتضيف قطرات مرّة في الكأس التي شربها ...

وبخطاياك تضع رجاسات على المسيح في صلبه!

فهو الذى حمل خطايا العالم كله ليمحوها بدمه و يكون كفارة عنها (١يو١ : ٢ : ١ ، ٢) . ومن ضمن هذه الخطايا ، ما ارتكبته وما ترتكبه من خطايا ...

إستمع إذن في خوف إلى القديس بولس الرسول « من خالف ناموس موسى ، فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة . فكم عقاباً تظنون أنه يحسب مستحقاً ، من داس ابن الله ، وحسب دم العهد الذى قدس به دنساً ، وازدرى بروح النعمة »؟! (عب ١٠ : ٢٨ ، ٢٩) ...

تأمل إذن هذه العبارات ، لتعرف مقدار بشاعة الخطية :

داس ابن الله ... حسب دم العهد الذى قدس به دنساً .. إزدري بروح النعمة ... يصلبون ابن الله ثانية ويشهرونه ... حقاً إنها خيانة لله ، وخيانة للنعمة التى نلناها فى المعمودية ، حيث يقول الرسول « لأن جميعكم الذين اعتمدتم للمسيح ، قد لبستم المسيح » (غل ٣ : ٢٧) .

هل تظنون أن يهوذا وحده هو الذى خان المسيح؟!

كلا ، بل أن كل من يخطىء ، يخون المسيح . يخون معموديته وميرونه ، ويخون الدم الكريم الذى طهرنا من كل خطية (١يو١ : ٧) .

الخطية من جهة الإنسان

الخطية أيضاً هى فقدان للصورة الإلهية .

خلقنا الله على صورته ومثاله . وفقدنا هذه الصورة بسقوط أبويننا الأولين . ثم اعيدت إلينا فى نعم العهد الجديد . ولكننا نعود فنفقدنا كلما أخطأنا . فالخاطيء لا يمكن أن يكون على صورة الله ، لأن الله قدوس ...

والخطية هى كذلك حرمان من الله .

أنت غصن فى الكرمة ، طالما أنت ثابت فيها ، تجرى فىك عصارة الكرمة ، فتحيا

وتثمر. والله ينقيك لتأتى بثمر أكثر. أما الغصن الذى ينفصل عن الكرمه بحياته فى الخطية، فإنه يقطع ويجف ويلقى فى النار (يو ١٥ : ١ - ٦).

وفى حالة الخطية تتعرض لتلك العبارة المخيفة التى قالها السيد الرب لفاعلى الإثم : « إنى لا أعرفكم قط ، اذهبوا عنى » (مت ٧ : ٢٣). والعجيب أنه قال هذه العبارة لأشخاص قالوا له « يا رب ، أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسم صنعنا قوات كثيرة » .. !

أمر مؤلم ، أن يتبرأ الرب من معرفتنا !!

نفس العبارة قالها للعدارى الجاهلات « الحق أقول لكن إنى لا أعرفكن » (مت ٢٥ : ١٢) وأغلق الباب ، وبقيت هؤلاء خارجاً ، منفصلات عن القديسات اللائى حضرن العرس ...

* * *

الخطية فساد للطبيعة البشرية .

تصوروا حالة آدم وحواء قبل السقوط ، البراءة العجيبة ، والبساطة والنقاوة ... ولكن الخطية غيرت القلب ، وغيرت النظرة . « رأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل ، وأنها بهجة للعيون ، وأن الشجرة شهية للنظر » (تك ٣ : ٦) . وكانت أمامها الشجرة من قبل ، ولكن لم تكن تنظر إليها هكذا ... الخطية غيرت النظرة ، وأوجدت الشهوة .. ففسدت الطبيعة ...

دخل الإنسان فى ثنائية الخير والشر ، والحلال والحرام ، وفقد بساطته ، وعرف شهوة الجسد وشهوة العين وتعظم المعيشة (١يو ٢ : ١٦) وأصبح الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح تشتهى ضد الجسد ، ويقاوم أحدهما الآخر » (غل ٥ : ٧) .

* * *

صدقنى ، حتى ملامح الوجه تتغير بالخطية .

نوع النظرة ، والإبتسامة ، ولهجة الصوت ، وشكل الإنسان جملة يتغير ... حتى أن الرسول ينصحنا فيقول « تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم » (روم ١٢ : ٢) ... فإن عاش صديق لك فى الخطية ، ورأيتة بعد مدة ، تكاد تقول : ليس هذا هو الإنسان الذى

كنت أعرفه من قبل . الآن كل شيء فيه قد تغير... حتى ملامحه !!

الخطية هي هزيمة وسقوط وضعف .

مهما ظن الخاطيء أنه قد نال من العالم شيئاً . إن شاول الملك لم يكن قوياً وهو يطارد داود من برية إلى برية . بل كان مهزوماً من ذاته ومن غيرته . وأخيراً أحسّ بهزيمته ، فرفع صوته وبكى . وقال لداود « أنت أبر منى ، لأنك جازيتنى خيراً ، وأنا جازيتك شراً » (١ صم ٢٤ : ١٦ ، ١٧) .

الإنسان الخاطيء إنسان ضعيف ، لم يستطع أن يقاوم الخطية . فغلبه الشر ، وغلبته شهوته فسقط وانهزم أمامها . وأصبح غير مستحق لوعود الله للغالبين ، كما ذكرها الرب في رسائله للكنايس السبع (رؤ ٢ ، ٣) .

إنه إنسان مهزوم ، ليس فقط من الخطية التي تحاربه من الخارج ، بل بالأكثر من الخطية التي تسكن في أعماقه .

أخيراً ، الخطية هي موت .

لست أجد في وصفها أروع من قول الرب لراعى كنيسة ساردس « إن لك إسماً أنك حي ، وأنت ميت » (رؤ ٣ : ١) . وهكذا قال الآب عن توبة ابنه الضال : « إبنى هذا كان ميتاً فعاش ، وكان ضالاً فوجد » (لو ١٥ : ٢٤) .

٦

مفهوم الحبِّ والصداقة

الحب أولاً لله

إن أردنا أن نفهم المحبة على أساسها الحقيقي، الكتابي، فينبغي أن نضع أمامنا هذه الحقيقة وهي:

المفروض أن المحبة موجهة أولاً وقبل كل شيء إلى الله تبارك اسمه...

وهذا ما يقوله لنا الرب في سفر التثنية «تحب الرب إلهك من كل قلبك . ومن كل نفسك ومن كل قدرتك» (تث ٦ : ٥) ... فمادامت هذه المحبة من كل القلب، إذن كيف تكون باقى المحبات؟ ما الذى نعطيه لها وكل القلب لله؟ الحل الوحيد هو:

محبتنا لكل أحد، ولكل شيء، تكون من داخل محبتنا لله.

فالقلب كله قد أعطيناه لله . وفي داخل المحبة لله، نحب كل أحد . لذلك قال الرب «والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك» (مت ٢٢ : ٣٩) . ولماذا قال (مثلها)؟ ذلك لأنها من داخل محبة الله، جزء منها، ولا تفرق عنها...

* * *

إذن كل محبة خارج محبة الله، هى محبة خاطئة .

ماذا إذن لو كانت هذه المحبة أكثر من محبتنا لله؟! هنا يقول الرب «من أحب أباً أو أمّاً أكثر منى فلا يستحقنى . ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى» (مت ١٠ : ٣٧) .

المحبة التي هي أكثر من محبة الله ، هي التي تفضل فيها إنساناً أو شيئاً على الله نفسه . ونستطيع أن نقول عنها :

إنها محبة خاطئة تتعارض مع محبة الله ، ولكنها تكون في القلب أقوى من المحبة لله ...

وهنا لا يكون القلب ملكاً لله . وتكون هذه المحبة الخاطئة غريبة عليه ، ودعيلة عليه ، أخرجت من النطاق الإلهي ... !!

أنواع من المحبة

توجد محبة طبيعية مثل المحبة بين البنوة والأبوة ، لذلك شبه الله محبته لنا بمحبة الأب للأبناء .

وتوجد محبة مكتسبة كمحبة الأصدقاء والأقرباء والزملاء ، أو المحبة بين خطيب وخطيبته ، أو بين زوج وزوجته .

والمحبة قد تسلك في درجات ...

ربما تبدأ بزمانة ، تتدرج إلى تعاون أو صداقة . والزمانة هي علاقة بين إثنين أو أكثر في رابطة بعمل مشترك أو مصلحة مشتركة . وقد تؤدي إلى فكر مشترك ... وربما تؤدي الزمانة إلى صداقة ...

وربما يوجد في العلاقات لون من الإعجاب .

والإعجاب غير الحب . فربما تعجب ببطل من أبطال الرياضة . ولكن ليس معنى هذا أنك تحبه . كذلك قد تعجب بكاتب من الكتاب . يعجبك فكره ، دون أن تكون هناك صلة بينك وبين شخصه . وقد تنشأ بينكما رابطة فكرية ، ولكن ليست هي الحب . وإن تدرجت إلى محبة ، فإنها تكون محبة لفكره أو لأسلوبه ، ولكن ليس لشخصه ...

المحبة هي إلتقاء بين قلبين ، أو اتحاد قلبين ، بمشاعر واحدة ، أو عواطف واحدة . ولكي تكون محبة مقدسة ، من المفروض أن تكون هذه المشاعر داخل محبة الله ، لا تتعارض معها ، ولا تزيد عليها .

ومن المشاكل أن توجد محبة من جانب واحد .

لا بد أن يكون هناك شيء من الخطأ ، أو عدم التوافق . فالمفروض أن المحبة تولد محبة ...

* * *

ومن شروط المحبة أن تكون عاقلة وحكيمة وروحية ، لأن هناك أنواعاً من المحبة قد تسبب ضرراً .

والمحبة الحقيقية ينبغي أن تكون محبة طاهرة . وهنا نفرق بين المحبة والشهوة .
وأذكر أنني قلت مرة في التمييز بينهما :

المحبة تريد دائماً أن تعطي . والشهوة تريد دائماً أن تأخذ .

والشهوة التي تريد دائماً أن تأخذ ، تتصف دائماً بالأنانية . وقد تضع الطرف الآخر الذي تدعى أنها تحبه . وقد تجبسه داخلها ، وتحد حرите في الاتصال بالآخرين . وقد تتحول أحياناً إلى غيرة مدمرة...!! إنها في الواقع ليست محبة حقيقية . فالمحبة الحقيقية تتصف بالعطاء والبذل . وقد تصل إلى التضحية بالذات ...

* * *

فانظر إلى نفسك ، في علاقتك مع الجنس الآخر ، أهي علاقة حب أم شهوة ؟

الشاب الذي (يحب) فتاة ، فيضيع سمعتها ، أو يفقدها عفثها :

هل تسمى هذا حباً أم شهوة؟! لو كان يحبها حقاً ، لكان يحرص عليها . يحرص على سمعتها ، كما يحرص على سمعة أخته . ويحرص على بتوليتها . ويحرص على مشاعرها ، فلا يشغلها به ، ويعلقها بشخصه ، وقد يتركها بعد ذلك حيرى ، لا تجد طريقها في الحياة ، أو تجده مظلماً أمامها ... أنستطيع أن نسمى هذا حباً .

قد يسميه البعض مجرد تسلية في حياة الشباب !!

ولكن ما هو ثمن هذه التسلية من الناحية الروحية ، ومن الناحية الاجتماعية... هذه التسلية التي تشغل الفكر ، وقد تضع المستقبل ! وقد تفقد الشاب والشابة نجاحهما في الدراسة أو تفوقهما . وليس في هذا أى حب لأحد منهما .

وما معنى هذه التسلية التي تفقد فيها العفة والسمعة ؟

وتفقد فيها روحيات الاثني أيضاً .

الحب الحقيقي لا بد أن يرتبط بنقاوة القلب .

والحب بين الشابين لا يجوز أن يلغى محبتهما لله .

فقد قال الرب إن من أحب أحداً أكثر منه ، فلا يستحقه (مت ١٠ : ٣٧) . فهل يجوز لشاب أن يحب فتاة أكثر من الله؟! وهل يجوز لشابه أن تحب فتى أكثر من الله؟! وهل يجوز أن تدخل في هذه المحبة مشاعر تتعارض مع نقاوة القلب التي بدونها لا يعاين أحد الرب؟!!

الذي يحبك حقاً، لا يمكن أن يفقدك روحياتك .

الذي يحبك حقاً، لا يغتصب منك لنفسه حبك نحو الله، ولا يقلل من مقداره، ولا يهز داخل قلبك محبتك نحو الله... ولا يتركك في صراع بين محبتين... محبة روحية، ومحبة جسدية، أو محبة نحو الله، ومحبة نحو إنسان...

المحبة ليست متعة للذات على حساب الغير!

بل هي إنكار للذات، وبذل للذات، في محبة الغير. كما فعل يونانان من أجل صديقه داود. وتعرض لغضب أبيه في دفاعه عنه.

وأعظم مثل للحب هو ذبيحة الصليب لأجلنا، التي قيل فيها «هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد..» (يو ٣ : ١٦).

إذن ماذا عن الحب الذي يقود إلى الزواج .

المهم في ذلك : ما هو الضمان أنه يقود إلى الزواج؟

وما هي حدود. هذا الحب، أو ما هي حدود العلاقة التي يسمونها حباً يقود إلى زواج؟ هل هو حب يشترط أن يكون بين خطيبين؟ أم هو حب بدون أية رابطة

شرعية؟! وما مصيره؟ وما مدى الحرص الذى يكون حافظاً له من الإنحراف .

والمحبة الحقيقية هى محبة دائمة .

أى أنها تستمر، لا تسقط أبداً (١كو ١٣ : ٨) .

وإذا كان إثنان يجبان بعضهما البعض محبة قوية ، فإنهما يريدان ليس فقط أن تدوم هذه المحبة بينهما طول عمرهما على الأرض ، بل هما يريدان أن تستمر هذه المحبة بينهما فى الأبدية ، فيوجدان معاً فى العالم الآخر . ولا يتوفر لهما ذلك ، إلا لو كانت محبتهم طاهرة ، بحيث يذهبان معاً إلى الفردوس ، ومنه معاً إلى الملكوت ، فى النعيم الأبدى ... لكن لو ضاع أحدهما فى الطريق ، فلن يوجد معاً فى الملكوت .

لابد إذن أن يسندا بعضهما البعض فى الطريق الروحى .

لنفرض أنهما عاشا معاً فى خطية!! وتاب أحدهما ، ولم يتب الآخر.. إذن سوف يفترقان بعد الموت : أحدهما إلى الفردوس ، والآخر إلى الجحيم . ولن يلتقيا فى الحياة الأبدية ... ولا تكون محبتهم دائمة . فالمحبة الدائمة هى المحبة الروحانية .

إن الحب له أنواع عديدة تتنوع فى مجالاتها .

الحب فى أفراد الأسرة الواحدة ، بين الآباء والأبناء ، وبين الأخوة والأخوات ، وبين الأزواج ، وكله حب يوافق عليه الكتاب ، وتوافق عليه الطبيعة ...

الصداقة

وهناك أيضاً الحب بين الأصدقاء ، كالحب بين داود ويونathan . قال فيه داود عن يونathan بعد وفاته « قد تضايقت عليك يا أخى يونathan . كنت حلواً لى جداً . محبتك لى أعجب من محبة النساء » (٢صم ١ : ٢٦) .

ذلك لأنها محبة خالصة بين روح وروح .

لا دخل لمشاعر الجسد فيها .

أما المحبة التي يتدخل فيها الجسد، كالمحبة التي بين زوجين، لا يبيحها الكتاب لفتى وفتاة خارج حدود الزواج.

* * *

هنا ونتطرق لموضوع الصداقة. ما مفهومها وما حدودها؟

الصداقة هي مشاعر مودة، يمكن أن تكون بين رجل ورجل، أو بين امرأة وامرأة، أو بين عائلة بكل أفرادها رجالاً ونساء، مع عائلة أخرى بكل أفرادها رجالاً ونساء. ويمكن أن تكون بين الجنسين في حدود المودة الروحية، بشرط أن لا يكون للجسد تدخل فيها.

والصديق ينبغي أن يكون صادقاً في صداقته.

ويكون أيضاً صديقاً أى باراً يقود صديقه إلى الخير.

* * *

فالصديق الذي يدافع عنك في أخطائك، ويثبتك فيها، ليس هو صديقاً بالحقيقة.

لأنه فيما يفعل ليس صادقاً، ولا صديقاً...

ومحبته لك هي لون من المحبة الضارة...

لذلك عليك أن تنتقى أصدقاءك من النوع الذي لا يشترك معك إلا في عمل البر، ولا يجاملك على حساب الحق، ولا يشجعك على خطأ...

المحبة الخاطئة

أما المحبة الخاطئة، فتوجد أنواع منها:

إما أنها خاطئة في ذاتها، أو في الوسيلة والأسلوب، أو في النتيجة.

فمن أمثلة الخطأ في الوسيلة:

محبة رفقة لابنها يعقوب. أرادت له أن ينال البركة. ولكنها لجأت إلى وسيلة

خاطئة ، وهى خداع أبيه . وبهذا عرضته لعقوبة من الله ، فلم يفارقه الخداع . خدعه لابان بتزويجه ليثة بدلاً من راحيل ، وخدعه فى اجرتة أيضاً . وخدعه أبناؤه بادعائهم أن ابنه يوسف افترسه وحش ردىء... وعاش يعقوب فى حياة كلها تعب .

كذلك أخطأت رفقة فى أن محبتها لم تكن شاملة . فلم تحب عيسو كما كانت تحب يعقوب . وبالمثل يعقوب لما كبر ، لم تكن محبته لابنائة شاملة أيضاً . فاحب يوسف أكثر من الباقين مما سبب لهم غيرة قادتهم إلى إيذائه .

إن الرب أرادنا أن نحب الكل ، حتى الأعداء والمسيئين إلينا . وقال الكتاب « إن جاع عدوك فاطعمه ، وإن عطش فاسقه » (روم ١٢ : ٢٠) .

الذى يجب البعض ، على حساب البعض الآخر:

يكون فى قلبه عدم محبة لهذا الآخر . ومن أمثلة ذلك أن ايزابل كانت تحب زوجها انلك آخاب . وفى هذا الحب ساعدته أن يغتصب حقل نابوت اليزرعيلي . ودبرت فى ذلك تهمة باطلة لنابوت بشهود زور ، انتهت بها إلى قتله ... وهكذا كانت محبتها لزوجها محبة خاطئة قادتة إلى الظلم والقتل وإلى انتقام الرب منه (١ مل ٢١) .

هناك محبة خاطئة من حيث نتائجها :

مثل النسوة اللاتى اعجبين بانتصار داود على جليات ، فهتفن له قائلات « ضرب شاوول ألوفه ، وداود ربواته » (١ صم ١٨ : ٧) . وبهذا غرسن الغيرة فى قلب شاوول ، فاضطهد داود إضطهاداً مُراً ، وسعى إلى قتله وإيذائه .

وبالمثل أولئك الرجال الذين هتفوا لهيروودس الملك قائلين عنه لما خاطبهم « هذا صوت إله لا صوت إنسان » (أع ١٢ : ٢٢) . ففى الحال ضربه الرب فمات ، لأنه لم يعط مجداً لله .

هناك محبة أخرى خاطئة ، بتشجيع الخاطئين .

ومن أمثلة ذلك الذين تبعوا الهرطقة على مدى الأجيال ، وشجعوهم وكونوا لهم

شعبية تؤيدهم في أخطائهم اللاهوتية، مما جعلهم يستمرون في بدعهم وهرطقاتهم، فحرمتهم الكنيسة، وفقدوا أباديتهم أيضاً. بينما لو لم يكن هؤلاء التابعون قد شجعوهم، لكان ممكناً أن يرجعوا عن الهرطقة بسبب عدم التأييد. بل أن كثيراً من هؤلاء التابعين استمروا ينادون بآراء أساتذتهم الهرطقة حتى بعد موتهم.

ليست محبة أن يشجع إنسان أحد الخطاه على خطيئته.

وليست محبة أن يدافع عنه، أو حتى يساعده مالياً أو مادياً. إنما المحبة الحقيقية هي أن يقوده إلى التوبة، بأن يشرح له الخطأ، ويبيته عليه، ويدعوه إلى تركه... حقاً إن هذه ليست محبة، بل هي ضرر. والكتاب يقول:

« مبريء المذنب ومذنب البريء، كلاهما مكرهة للرب » (أم ١٧ : ١٥).

فهذا الذي يبريء المذنب، إنما بسبب محبته له، يفقد محبة الله، ويصير مكرهة له. وحتى محبته الخاطئة للمذنب تتسبب في هلاكه الأبدى. ويعتبر مشجعه مشتركاً معه في الخطية، وفي مسئولية الخطأ ونتائجه وعقوبته.

فحينما يهلك هذا المخطيء، يكون من شجعه أحد الأسباب التي أوصلته إلى الهلاك. وفي نفس الوقت يكون ضد الحق الذي هو الله.

الأم التي تغطي على أخطاء ابنها، حتى لا يعرفها أبوه، فينجو من عقابه:

هذه لا تحب ابنها على وجه الحق، بل تضره وتفسده وتضيع مستقبله وعلاقته بالله... وكذلك الأم التي تدلل ابنها تدليلاً يتلفه... لهذا كله يقول أحد الأمثال «الذي يبكيك يبكي عليك، والذي يضحكك، يضحك عليك».

إن أحببت إنساناً، لا تدافع عنه في خطئه، إنما انقذه من خطئه.

وذلك بقيادته إلى التوبة. وهكذا تخلص نفسه، وأيضاً تنقذ نفسك من الاشتراك

معه في الدينونة، إن استمر في الخطأ بسبب تشجيعك . المحبة الحقيقية هي أن تنجيه من أغلاطه ، لا أن تبرر أخطاءه أمام الناس .

* * *

لذلك كان التوبيخ أحياناً لوناً من المحبة .

وكان التأديب ممن له سلطان التأديب ، دليلاً على الحب . وفي ذلك قيل عن الله تبارك اسمه «الذى يحبه الرب يؤدبه» .

بعض الناس - للأسف - يظن أن العقوبة ضد المحبة !! كلا ، فهذا خطأ . لأن العقوبة تكون رادعة عن الاستمرار في الخطأ . وإن لم يستفد بها المخطيء ، يستفيد بها الآخرون . كما قال القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس «الذين يخطئون ، وبخهم أمام الجميع ، لكى يكون عند الباقين خوف» (١تى ٥ : ٢٠) .

* * *

أحياناً يظن البعض أن المحبة تدعوهم إلى مساعدة الآخرين ، ولو في الخطأ .

ومن أمثلة ذلك تلميذ يساعد زميله على الغش في الامتحان محبة له !! أو أب كاهن يساعد طالب زواج في زيجة غير شرعية زعماً بأنه يساعده على الزواج بمن يحب . أو طبيب يساعد فتاه أخطأت بأن يجهضها لتنجو من الفضيحة .

* * *

ومن أمثلة المحبة الخاطئة ، زوج يحبس زوجته في البيت لتكون له وحده .

الحبس ليس هو الأسلوب السليم ، بل تعميق الحب بينه وبين زوجته هو الذى يجعلها تتمسك به وحده . كذلك محبتها لله ، تجعلها لا تخون زوجها أبداً ... كما أن حبس الزوجة في البيت هو نوع من الأنانية يحرمها فيه من التمتع بالحياة بلا خطأ .

* * *

هناك محبة أخرى تخطيء في الأسلوب والوسيلة .

مثل محبة بطرس للمسيح التى جعلته يستل سيفه ويضرب عبد رئيس الكهنة فيقطع أذنه ، فوبخه السيد على ذلك (يوحنا : ١٠ ، ١١) .

ومن أمثلة هذه المحبة الخاطئة الأم التي من حرصها على صحة ابنها تمنعه عن الصوم بكافة الطرق . بل تذهب إلى أب اعترافه وترجوه أن يمنعه هو أيضاً ...
عكس ذلك تلك الأم القديسة التي في أيام الاستشهاد، ذبحوا أبناءها على حجرها، وهي تشجعهم على الاستشهاد .
إننا حينما نتكلم عن المحبة، إنما نتكلم عن المحبة الحقيقية، التي تهدف إلى خلاص نفس الإنسان، وإلى نجاحه بطريقة روحية .

المحبة العملية

والمحبة الحقيقية هي محبة عملية :

وفي ذلك قال القديس يوحنا الرسول « لا نحب بالكلام ولا باللسان، بل بالعمل والحق » (١ يوحنا : ٣ : ١٨) . محبة الأسرة لطفلها هي محبة عملية، فيها الاهتمام بغذائه وصحته ونظافته وتعليمه ... وكذلك الاهتمام بروحياته، وتلقيه الدين، وتدريبه على الفضيلة ...

وفي حديث سفر النشيد عن الحب، يقول « اجعلني كخاتم على قلبك، كخاتم على ساعدك » (نش : ٨ : ٦) ...

عبارة « خاتم على قلبك، تعني عواطفك ومشاعرك القلبية . أما عبارة « خاتم في ساعدك » فتعني مد ساعدك للعمل .

إن بطرس الرسول حينما قال « لو أنكرك الجميع لا أنكرك » كان خاتماً على القلب . وحينما أنكرك، لم يكن خاتماً على الساعد ...

خاتماً على القلب تعني الإيمان، وخاتماً على الساعد تعني الأعمال .

والمحبة نحو الله تتطلب الإثنيين معاً . والمحبة نحو الناس تتطلب المشاعر والعمل أيضاً . هذه هي المحبة العملية ...

ومن جهة الرعاية يقول الكتاب «الراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف»
(يو ١٠ : ١١) . وبذل النفس هو المحبة العملية .

والله - كراع صالح - يقول عنه الكتاب إنه «بين محبته لنا . لأننا ونحن بعد
خطاة ، مات المسيح لأجلنا» (رو ٥ : ٨) . إنها محبة عملية ، فيها التجسد والصلب
والفداء .

المحبة عاطفة ، تترجم ذاتها إلى عمل .

يقول الرب «يا ابنى اعطنى قلبك» (أم ٢٣ : ٢٦) فهل هذا يعنى مجرد
العاطفة ؟ كلا ، لأنه يقول بعدها مباشرة «ولتلاحظ عيناك طرقي» . هنا الحب
والعمل معاً . وهكذا نرى الرب يقول فى ذلك : «إن أحببى أحد يحفظ كلامى»
(يو ١٤ : ٢٣) «إن حفظتم وصاياى ، تثبتون فى محبتى» (يو ١٥ : ١٠) .

فالمحبة لله ، ليست محبة نظرية ، ولا هى مجرد عواطف .

محبتك لله تتجلى فى طاعته وحفظ وصاياها . كما تظهر فى نشر ملكوته على الأرض .
فى خدمته ، وخدمة كنيسته ، وخدمة أولاده ...

أما أن تقول إنك تحب الله ، وأنت جالس فى خمول لا تعمل شيئاً ، فهذا كلام
نظرى لا يقبل منك .

وهنا أذكر باعجاب ، أولئك الذين بشروا بكلمة الله فى بلاد تأكل لحوم البشر...
هذه هى المحبة العملية الباذلة . محبة الشخص الذى يعطى الناس كلمة الله لكى
يتغذوا بها ، حتى لو أن بعضهم تغذى به هو!!

العلاقة مع الله

حينما نتكلم عن المحبة ، لا نتكلم فقط عن المعاملات المتبادلة مع الناس ، بل
بالأكثر العلاقة مع الله . وحينما تكلم السيد المسيح مع الآب عن علاقته بتلاميذه ، فى

الاصحاح المشهور (يو ١٧)، قال :

« الكلام الذى اعطيتنى قد اعطيتهم » .

« عرفتهم اسمك ، وسأعرفهم . ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به ، وأكون أنا فيهم » (يو ١٧ : ٨ ، ٢٦) .

علاقة معرفة وحب . وكمثال للبذل فيها :

يقول بولس الرسول عن خدمته لله : بأسفار مراراً كثيرة، بأخطار في البر، بأخطار في البحر، بأخطار من جنسى، بأخطار من الأمم، بأخطار من أخوة كذبة .. فى برد وعرى، فى جوع وعطش . فى تعب وكد...» (٢كو ١١ : ٢٦ ، ٢٧) .

وتسأله أهذه هى الخدمة ؟ وكأنه يجب : بل هذا هو الحب .

* * *

وأنت : هل حبك لله كلام أم عمل ؟

هل فيه بذل وعطاء ، ونشر لكلمة الله ؟

هل فيه ضبط للسانك ، وضبط لفكرك ، وضبط لشهواتك ؟

هل الحب يظهر فى صلواتك ، وفى خدمتك ، وفى احتمالك ؟

هل فى صلاتك تقول مع المرتل فى المزمور « باسمك ارفع يدي ، فتشبع نفسى كما من لحم ودسم » (مز ٦٣ : ٤) .

هل خدمتك حب ؟ كما كانت خدمة السيد المسيح الذى قيل عنه إنه أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى » (يو ١٣ : ١) .

* * *

المحبة الحقيقية هى أيضاً محبة بلا رياء (رو ١٢ : ٩) .

سواء كانت تجاه الله أو تجاه الناس .

لا تكون قلوبنا غير ألسنتنا . ولا تكون ألسنتنا غير مشاعرنا .

٧

مفهوم العثرة

ما هي العثرة

ما هي العثرة ، التي قال عنها السيد المسيح له المجد :

« ويل للعالم من العثرات... ويل لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة »
(مت ١٨ : ٧) « من أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي ، فخير له أن يعلق في عنقه
حجر الرحي ويفرق في لجة البحر » (مت ١٨ : ٦) .

إن كانت العثرة بهذه الخطورة في عقوبتها ، فما هي العثرة ؟

العترة هي أن يتسبب إنسان في إسقاط غيره .

وقد تكون العثرة بقصد ، أى أن يتعمد الإنسان ويقصد أن يسقط غيره . وهذه
عقوبتها أخطر من حالة الإنسان الذي يعثر أحداً بغير قصد...

أول عثرة في تاريخ البشرية ، جاءت عن طريق الشيطان :

فهو الذى أسقط أبونا الأولين . وكانا بسيطين لا يعرفان شراً . وقد أسقطهما
بقصد . وذلك عن طريق الخداع والإغواء وبهذه العثرة دخل الموت إلى العالم ،
وتسبب الشيطان في إفساد الطبيعة البشرية...

وعموماً طرق العثرة هي :

إما أن يعثر الشخص غيره بمعرفة الخطية ، أو بتسهيل الخطية ، أو بمذاقة الخطية أو
بإعطاء مفهوم مخادع للخطية ، كأن يقدمها باسم فضيلة ، أو أن يحدثه عن (منافع)

الخطية وفوائدها !!

معرفة الخطية

يعنى أن يعرف الإنسان أموراً تضره روحياً ، ما كان يعرفها من قبل ...
وهكذا تدخل في ذهنه معارف تدنس فكره .

أو تجلب له شهوات ، وتسقطه في الخطية . ولعله عن هذه قال سليمان الحكيم
«الذى يزيد علماً، يزيد حزناً» (جا ١ : ١٨) .

وبهذه المعرفة سقطت حواء ، مع أنها كانت معرفة ديع سليمة ، قال لها الشيطان
وهو يكذب «تفتح أعينكما وتصيران مثل الله ...» (تك ٣ : ٥) . فما الذى أحدثته
هذه العبارة ؟

لقد غيرت نظرة حواء وتفكيرها وشعورها «فأرت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل ،
وأنها بهجة للعيون ، وأن الشجرة شهية للنظر . فأخذت من ثمرها وأكلت ..» .

* * *

فالذى يصب في أذن زميل أو صديق معلومات تضره ، إنما يعثره .

كأن يعطيه معلومات تدين شخصاً معيناً ، أو تجعله يأخذ فكرة سيئة عنه . أو يقدم
له معارف معينة تتعبه اخلاقياً ، أو شكوكاً تتعبه عقيدياً ... بحيث يخرج صاحبه من
هذا اللقاء ليقول : ليتنى ما قابلت فلان ، أو ليتنى ما سمعت .

* * *

مثال ذلك أيضاً البيئة الشريفة ، وما تقدمه من أفكار .

هذه التى قال عنها الرسول «المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة»
(١كو١٥ : ٣٣) .

وهكذا بالعثرة من جانب ، وبالانقياد للعثرة من جانب آخر ، يتعلم منهم
التحايل ، أو طرق المكر . أو طالب يتعلم التزويغ من الدراسة ، أو الغش في
الامتحان . وأطفال تستخدمهم عصابات فتعثرهم وتعلمهم النشل . أو شباب يجتمعون

معاً ، والجديد فيهم يعلمونه تعاطى المخدرات أو لعب القمار. كلها عثرات ، ولتفاديها قال عنها المرتل في المزمور الأول « طوبى للإنسان الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار ، وفى طريق الخطاة لم يقف ، وفى مجلس المستهزين لم يجلس ... » .

* * *

كذلك يعتبر عثرة من يقدم لك الفكر الخاطيء ، دون أن يرّد عليه .

يقدم لك كل أدلة الفكر الخاطيء وبراهينه ، ويقف عند هذا الحد ، دون أن يذكر تعليقاته على كل ذلك ، ودون ذكر الردود التى تحطم ذلك الفكر الخاطيء... وإذا هوجم فلا ما يورده من أفكار ، يرد قائلاً « أنا لم أقل إن هذا رأيي ، وإنما ذكرت كل ذلك من باب العلم !! » .

والخطير أيضاً أن يكون وراء هذا الشخص تابعوه وتلامذته ومريدوه ، الذين يكررون نفس الكلام ويعلمون به ، ويكونون هم أيضاً عثرة .

* * *

البعد عن هؤلاء : طهارة ، وليس خصومة .

إنه بعد عن أسباب العثرات ، أو بعد عن معرفة العثرة . فالذى يسبب العثرة يفقد صاحبه البساطة والبراءة التى كان يجيهاها . وكأنه يقول له ما قاله الشيطان لحواء « تنفتح أعينكما .. » . تنفتح العين ، فتعرف الخطية...
النقطة الأخرى غير معرفة الخطية ، هى تسهيل الخطية .

تسهيل الخطية

إنه نوع آخر من العثرة . لأنه ربما يعرف إنسان الخطية ، ولكنه لا يمارسها لأن الباب مغلق أمامه . لذلك يعثره من يسهل الأمر عليه . فيعرفه أماكن الخطية ووسائلها ، ويقوده إليها ، ويزيل الخوف من قلبه ، كما يزيل العوائق من أمامه .

مثال ذلك ما فعلته إيزابل مع الملك آخاب فى الاستيلاء على حقل نابوت اليزرعيلي (١مل ٢١) . وما كان ينويه اخيتوفل فى نصيحته لأبشالوم ليتمكنه من القضاء على

أبيه داود (٢صم ١٧) .

كل هذا أعمق وأخطر بكثير من مجرد معرفة الخطية ، التي علاجها أسهل من علاج مذاقة الخطية .

مذاقة الخطية

هي الخطوة العملية الأولى في ارتكاب الخطية .

كالذي يقدم لشخص سيجارة ليدخنها ، أو وردة فيها مسحوق الهيروين ليشمها . أو يجعله يذوق مكسباً في لعب القمار ، أو يذوق كأساً من الخمر ، أو يفتح له مجالاً عملياً لممارسة الخطايا الشبابية .

اسم آخر للخطية

من العثرة أيضاً تسمية الخطية باسم فضيلة .

أو باسم آخر يسهل قبوله . فالذي ينشر هرطقة مثلاً ، يقول عنها إنها المفهوم السليم للدين . والذي يعلم زميله لعب القمار ، يسميها تسلية ، أو تحلية للعب . والذي يدعو لممارسة الزنى ، يسمى ذلك معالجة للكبت وأضراره . والذي يساعد على التهرب من الضرائب ، يقول إن ذلك مجرد تخلص من مغالاة وظلم اللجان التي تقدر قيمة الضريبة ... وهكذا .

فإن الشيطان - في العثرة - لا يحارب بوجه مكشوف .

أنواع من العثرات

ليست كلها في الأمور الشبابية كما يظن البعض .

فهناك عثرات في الدين ، كاهراطقة ، والذين ينشرون الشكوك في الدين ، أو الذين ينشرون الإلحاد ، والذين ينكرون القيامة والمعجزات .

وهناك عشرات في الفلسفة والفكر... وزعزعة الفكر في كثير من المبادئ والقيم، كأصحاب البدع الذين يأتون بشيء جديد لتحطيم ما تسلّمه الناس من قبل... ويقدمون ذلك باسم العلم والتجديد.

* * *

إن الأريوسيين كانوا أكثر خطراً من أريوس، وأكثر إيذاءً لأثناسيوس... لذلك حسناً قال معلمنا يعقوب الرسول:

لا تكونوا معلمين كثيرين يا أخوتي، عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم (يع ٣: ١).

لماذا؟ «لأننا في أشياء كثيرة نعرّج جميعنا». إنها العثرة في التعليم... يعثر نفسه، إذ يظن أنه على حق، ويكون «حكيماً في عيني نفسه» (أم ٣: ٧). وأيضاً يعثر غيره بنشر تعليمه الخاطيء...

* * *

لذلك لا تقبلوا كل فكر جديد يحطم ما تسلمتموه.

ويكون لكم عثرة... ذلك لأن البعض يحاولون أن يقدموا شيئاً جديداً، يلفون به المسلّمات القديمة، ليثبتوا أنهم أكثر علماً.

ومنهم بعض المشتغلين بالنقد الكتابي Biblical Criticism وهم في الجامعات الأجنبية من رجال الدين ومن أساتذة اللاهوت، ولكنهم عثرة، وحسب قول الرسول يأخذون دينونة أعظم... دينونة بسبب أخطائهم، ودينونة بسبب نشرها.

القدوة السيئة

هي أيضاً عثرة، إذ يقع الغير في أخطاء بسبب تقليدهم لتلك القدوة. وهؤلاء المخطئون- إن كانوا من القادة أو الرؤساء أو الزملاء- لم يقصدوا أن يجعلوا غيرهم يخطئون. ولكنهم كانوا سبباً في ذلك... فقد يعلمونهم الروتين، أو الحضور متأخرين إلى مكان العمل، أو محاولة تبرير كل خطأ، أو سوء معاملة الناس وتعطيل مصالحهم،

أو يعلموهم قلة الإنتاج ، أو كتابة تقارير وهمية أو مزورة ... إلخ .

فالإنسان في المجتمع يمتص منه أشياء كثيرة : يمتص عادات وعثرات .

ويدخل في هذا المجال أيضاً : الآباء والأمهات بالنسبة إلى أبنائهم... فالأبناء ينظرون إلى آباءهم وأمهاتهم كقدوة و يقلدونهم .

ويدخل في مجال العثرة أيضاً ما يتعرض له البسطاء الذين ليست لديهم القدرة على تحليل تصرفات من هم أكثر منهم خبرة وعلماً ومركزاً . فيعثرون بهم - ليس من جهة انتقادهم - إنما من جهة تقليدهم .

كذلك الموظف الأدنى مركزاً ، إذا ترقى إلى مركز أعلى ، قد يسير على نفس نهج من سبقه ، ويكون ذلك له عثرة .

الثقافة والإعلام

كل أجهزة الوسائل السمعية والبصرية قد تكون عثرة ، إذا قدمت برامج معثرة للسامعين أو المشاهدين فلها تأثير على شخصياتهم ، من حيث تفكيرهم وأساليبهم ، وما تتركه في نفوسهم من مشاعر وأحاسيس .

وبالمثل كل مصادر الفكر من كتب ومجلات وجرائد ونبذات ومنشورات ، هي أيضاً قد تكون عثرة ، إن أثرت على أفكار الناس ومشاعرهم وتصرفاتهم تأثيراً خاطئاً ، وقادتهم في طريق يضرهم أو يضر المجتمع .

قال أحد المفكرين : قل لي ماذا تقرأ ، أقول لك من أنت .

وأريد أن أضيف إلى ذلك : ليس الأمر يقتصر فقط على ما تقرأ ، وإنما أيضاً ماذا ترى وماذا تسمع . فالكاسيتات ، وأجهزة التلفزيون والفيديو ، لها خطورتها في التأثير

على الناس، وكذلك الأفلام السينمائية والمسرحية. وكثير من هذه كلها قد تكون عشرة...

وعلينا أن نكون حريصين في كل ذلك .
بالنسبة إلى أنفسنا وإلى أولادنا .

الكبير والصغير

على الكبير أن يكون حريصاً جداً، في أقواله وتصرفاته، حتى لا يعثر الصغير، أو الضعيف. وهكذا يقول الرسول:

« أنظروا لثلاثين... هذا معثرة للضعفاء » (١ كو ٨ : ٩) .

ويكرر عبارة « الأخ الضعيف الذي مات المسيح لأجله » (١ كو ٨ : ١١) ثم يقول أخيراً « إن كان طعام يعثر أخى، فلن آكل لحمًا إلى الأبد، لئلا أعثر أخى » (١ كو ٨ : ١٣) . وهو من جهة العثرة يقول عن الضمير « ليس ضميرك أنت بل ضمير الآخر... غير طالب ما يوافق نفسى، بل الكثيرين لكي يخلصوا » (١ كو ١٠ : ٢٩ - ٣٣) .

والسيد المسيح - من جهة العثرة - اهتم بالصغار. فقال « من أعثر أحد هؤلاء الصغار... » (مت ١٨ : ٦) .-

* * *

إن أسباب العثرة قد يقاومها القوي. ولكن ما ذنب الضعيف؟

ونقصد بالقوى، القوى في روحياته، والقوى في إرادته، والناصح في تفكيره. هذا القوى يمكنه أن يدرك الخطأ و يقدر على مقاومته. ولو أنه من الجائز أن يقع في إدانة صاحبه... ولكن المشكلة في عثرة الضعيف أو الصغير أو البسيط...

والضعيف أيضاً قد يقول: إن الكبار هكذا يسقطون، فماذا افعل أنا الضعيف؟! وقد يستسلم للخطأ، أو يقع فيه يأساً، أو انقياداً.

* * *

وربما من عشرة الضعيف أن تسقط المثل العليا أمامه .

وهكذا فإن القديس بولس الرسول لما وبخ القديس بطرس الرسول ، قال له قدام الجميع « إن كنت وأنت يهودى ، تعيش أممياً لا يهودياً ، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا؟! » (غل ٢ : ١٤) ... قال ذلك لأنه وجد « أن برنابا أيضاً انقاد إلى ريائهم » (غل ٢ : ١٣) أى أعثر منهم ...

فليحترس الكبار إذن في تصرفاتهم . ونقصد الأ بوين في محيط الأسرة ، والمدرسين بالنسبة إلى التلاميذ ، والخدام بالنسبة إلى مخدوميهم ، والكهنة بالنسبة إلى شعبهم ، والمرشدين بالنسبة إلى من يسترشد بهم ...

* * *

يحرصون ألا يكونوا عشرة في كلامهم وتصرفاتهم وحركاتهم وملاحظهم ...

وكذلك في حفظهم للنظام ، وفي طاعتهم للقانون ، وفي حفظهم للوصية . فإذا كان الشمامسة مثلاً لا يتكلمون في الكنيسة ، ويحرصون على احترام الهيكل والصلوات قد يقتدى بهم الشعب . وإن أخطأوا قد يكونون عشرة للشعب ، الذى قد يفعل المثل ...

والذى يتكلم أثناء الصلاة في الكنيسة يقع في عدة أخطاء :

أولاً : عدم احترام الكنيسة ، وعدم احترام الصلاة ، وعدم وجود مخافة الله في قلبه . والخطية الثانية : يكون عشرة لغيره : إما في أن يفعلوا مثله ، أو أن يقعوا في إدانته . وبالمثل الذى يداوم النظر إلى ساعته ، أثناء الاجتماع أو العظة . وكذلك الذى يخرج من الكنيسة قبل البركة أو التسريح .

* * *

على الشخص أن يتنافى العثرة ، حتى لو لم يكن في تصرفه خطأ .

إن السيد المسيح عندما طلبت منه الجزية ، وكان يعرف أن الجزية لا تُطلب من بنى البلد بل من الغرباء ، قال لبطرس : ولكن لكى لا نعثرهم ، اذهب إلى البحر والقي صنارة ... » (مت ١٧ : ٢٧) .

ولكى لا يعثرهم أيضاً ، تقدم إلى معمودية يوحنا التى للتوبة ، مع أنه غير محتاج إلى

توبة....

وان السيد المسيح أطاع الناموس في أمور كثيرة لا تلزمه، وكذلك القديسة العذراء، لكي لا يعثرهم أحد.

الضمير

يوجد ضمير ضيق يتشكك في كل شيء، ويظن الخطأ حيث لا يوجد خطأ. وضمير واسع يبرر تصرفات كثيرة.

وموضوع الضمير يدخل في موضوع العثرة. والأمثلة كثيرة:

* * *

* هل الجمال مثلاً يعثر؟

فتاة جميلة . ينظر إليها البعض ويشتهونها . فهل هي عثرة لهؤلاء ؟ وما ذنبها ؟ كلا ، إنها ليست عثرة . العثرة هي في قلوب الذين يشتهونها . الخطأ فيهم وليس فيها . القديسة يوستينا مثلاً كانت جميلة جداً وقد اشتهاها شخص لدرجة أنه لجأ إلى السحر ليحصل عليها . فهل كانت هذه القديسة عثرة ؟ كلا ، وإنما العثرة في قلب ذلك الإنسان غير النقي .

ما رأيكم في ملاكين اشتهاهما أهل سادوم؟!!

هل الملاك كان كانا سبب عثرة؟! حاشا . إنما الخطأ في انحراف ذلك الشعب الشاذ ، لذلك ضربهم الملاك بالعمى عقاباً لهم على شهوتهم النجسة (تك ١٩ : ٤-١١) .

* * *

* الكتبة والفريسيون انتقدوا السيد المسيح ، لأنه صنع معجزات في يوم سبت . فهل كان السيد المسيح عثرة لهم؟! حاشا ، بل عدم فهمهم أو عدم نقاوة قلوبهم كان هو السبب .

العثرة أتتهم من داخلهم ، وليس من سبب خارجي .

★ وما أكثر القديسين الذين أتهموا من الناس ظلماً ، مثل القديس مكاروريوس الكبير، والقديسة مارينا، والقديس افرام السريانى ، ولم يكونوا عشرة ، وأظهر الله براءتهم . وهنا ليتنا نتأمل قول الرسول :

« كل شيء طاهر للطاهرين » (تى ١ : ١٥) .

غير الطاهرين إذن ، تكون كثير من الأمور عشرة لهم ، بسبب عدم طهارتهم . إذ يفكرون بطريقة فيها دنس . أما الطاهرون فيفكرون بنقاوة . لذلك لا تعثرهم أشياء تعثر غيرهم .

الأمر إذن يحتاج إلى ضمير نقى يحكم بعدل .

★ لقد أمرنا السيد الرب أن نخفى فضائلنا . فهل إذا اخفينا صلواتنا وأصوامنا وصدقاتنا حسب أمر الرب (مت ٦) ... أيعثر الناس فينا ويظنوننا لا نصلى ولا نصوم؟! أم هل نظهر فضائلنا لكي لا يعثروا ، ونخالف وصية الرب؟! المسألة إذن مسألة ضمير...

المهم أننا لا نقدم مادة للعثرة .

أما إن أعثر غيرنا لسبب فيه ، ولا قصد منا في إعثاره ، فالذنب ذنبه .

★ هل كان داود النبي سبب عشرة لشاول الملك ، حينما انتصر على جليات؟! كلا ، بلاشك . وما كان بإمكان داود أن يترك جليات يعير صفوف الرب . وداود نفسه نسب الانتصار للرب . وقال لجليات « اليوم يجبسك الرب في يدي .. » « لأن الحرب للرب ، وهو يدفعكم ليدنا » (١ صم ١٧ : ٤٦ ، ٤٧) . ولكن الذى أعثر شاول هو الغيرة التى فى قلبه ، وتعبه من قول النساء « ضرب شاول أوفه ، وداود ربواته » (١ صم ١٨ : ٧) .

★ داود النبي قال أيضاً فى المزمور :

« أكثر من شعر رأسى الذين يبغضوننى بلا سبب » (مز ٦٩ : ٤) .

فهل هو أعثرهم حتى أبغضوه؟! كلا، بل هم أبغضوه بلا سبب منه . إنما السبب هو حقد قلوبهم، وغيرتهم من تقواه وانتصاراته، أو شهوتهم فى أن يفتصبوا سلطانه، كما فعل أبشالوم...

الرياء

هناك أشخاص لكى لا يجلبوا العثرة، يقعون فى الرياء .

يتظاهرون بالبر، لكى لا يعثر الناس من خطاياهم ...

وقد يتظاهرون بالصوم، حتى لا يعثر الناس، بينما هم غير صائمين . وهكذا

يكونون قد وقعوا فى خطيتين هما : عدم الصوم، والرياء .

ليس لكى يتفادى الإنسان العثرة، يتظاهر بالبر! بل الوضع السليم هو أن يسلك

حسناً، و يكون باراً بالحقيقة، حتى لا يعثر الناس .

٨

مفهوم الوداعة

أهمية الوداعة

من أبرز الآيات عن أهمية الوداعة قول السيد المسيح له المجد «تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم» (مت ١١ : ٢٩). كل الكمالات موجودة فيه، ولكنه ركز على الوداعة أولاً. وجعلها سبباً لراحة النفس.

والقديس بولس الرسول وضع الوداعة ضمن ثمار الروح (غل ٥ : ٢٣).

ويقول القديس يعقوب الرسول «من هو حكيم وعالم بينكم، فليبر أعماله بالتصرف الحسن في وداعة الحكمة» (يع ٣ : ١٣).

* * *

وحيثما ذكر الرب التطويبات، جعل الوداعة في أوائلها. فقال «طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض» (مت ٥ : ٥).

ويوجد تطويب كثير للوداعة في سفر المزامير، إذ يقول «يسمع الودعاء في الحق» (مز ٢٥ : ٩). وعندما تكلم القديس بطرس الرسول عن زينة النساء، قال «زينة الوديع الهادىء الذى هو قدام الله كثير الثمن» (١ بط ٣ : ٤).

إن كانت الوداعة بهذا المقدار، يقف أمامنا سؤال مهم:

ما هي الوداعة إذن؟ وما هي صفات الوديع؟

ما هي الوداعة؟

الإنسان الوديع هو إنسان هادىء طيب، ومسالم، وبشوش...

هو إنسان هادىء ، لا يغضب ولا يثور ، ولا يفعل بسرعة . لا يحتد في كلامه ، بل له الصوت المنخفض الخفيف ... هو بعيد عن النرفة أعصابه هادئة ...

قيل عن السيد المسيح في وداعته ، إنه « لا يخاصم ولا يصيح ، ولا يسمع أحد في الشوارع صوته . قسبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة مدخنة لا يطفىء » (مت ١٢ : ١٩ ، ٢٠) (أش ٤٢ : ٢ ، ٣) .

* * *

هدوء الوديع ، هدوء من الداخل ومن الخارج . يملك السلام على قلبه في الداخل ، فلا يقلق ولا يضطرب . ومن الخارج هو مسالم لجميع الناس . لا يهاجم أحداً ، ولا يجرح شعور أحد . هو بعيد عن العنف . حتى إذا هوجم ، لا ينتقم لنفسه .

إنه لا يتدخل في شئون الناس ، ولا يقيم لنفسه رقيباً على أعمالهم ، وبالتالي لا يدين أحداً . وإن تدخل في إصلاح غيره ، يكون ذلك في هدوء ، حسبما قال الرسول « أيها الأخوة ، إن إنسيق إنسان فأخذ في زلة ، فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ، ناظراً إلى نفسك لئلا تجرب أنت أيضاً » (غل ٦ : ١) .

يصلحه بالإقناع بالهدوء ، بالإتضاع ناظراً إلى نفسه لئلا يجرب هو أيضاً ...

* * *

الإنسان الوديع يحتمل الآخرين ، بطول الروح .

بطول بال . يضع أمامه قول الكتاب « الجواب اللين يصرف الغضب » (أم ١٥ : ١) . هو على صورة الله الذى يحتمل الخطاة ، ويطيل أناته عليهم .

الإنسان الوديع بعيد عن التذمر سواء في علاقته مع الله أو الناس . بل على العكس يكون على الدوام بشوشاً مبتسماً .

* * *

والوديع غالباً ما يكون خجولاً .

يتميز بشيء من الحياء . بل كما قال أحد الآباء « لا يملأ عينيه من وجه إنسان » . لا يفحص ملامح الناس ، ولا يغوص في أعماقهم ، ليعرف ما في داخلهم .

لا يحلل الناس ومشاعرهم . إنما نظراته بسيطة . هو إنسان حيي . لا يفارقه حياؤه .

* * *

الوديع شخص سهل التعامل .

بسيط ، ليس عنده دهاء ولا مكر ولا خبث . واضح في تعامله ، لا يبطن غير ما يظهر ، ولا يعقد الأمور . يتعامل في وضوح ، بلا لف ولا دوران ، ولا يدبر خطأً . يمكنك أن تستريح إليه ، لأنه واضح ، صريح ، ومريح ...

* * *

إنه رقيق ، لطيف ، حلو الطبع .

لذلك تجده محبوباً من الكل . لأنه إنسان طيب . حتى لو ظلمه البعض ، تجد الكثيرين يدافعون عنه ، ويقولون لمن ظلمه « ألم تجد سوى هذا الإنسان الطيب ، لكي تظلمه؟! » ... حتى الذي ظلمه ، يأتي إليه بعد حين ويعتذر له ... والكل يدافع عنه ، لأنه لا يؤذي أحداً . ولأجل محبة الناس للوداعة ، يقول الرب « طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض » (مت ٥ : ٥) هذا بالإضافة إلى السماء ... ونعمة الله باستمرار تكون عليه .

* * *

والإنسان الوديع ، إنسان « مهاود » .

يميل إلى إراحة الناس ، وعدم العناد معهم . لا يكثر من الجدل والنقاش . والملاحة والتحقيق . إنما الخير الذي يستطيع أن يعمل ، يعمل بهدوء وسرعة وبدون تأجيل ، وبدون مناقشة . إنه لا يتشبه برأيه في كل شيء ، كما يفعل البعض . إنما يمرر الأمور مادامت لا تكسر وصية . ولذلك فإنه لا يتحزب ، إنما يحب الكل ...

فقد الوداعة

الإنسان الوديع يحتفظ بوداعته باستمرار .

لا يفقد وداعته إن نال مركزاً كبيراً ، أو تمتع بسلطة . فمهما كان مركزه عالياً ،

تستمر وداعته كما هي . ولا يرتفع قلبه في أمر ونهى .

* * *

والوديع أيضاً لا يفقد وداعته بسبب اصلاح الآخرين . فإن كان في وضع يسمح بهذا ، لا يصلح الناس بالعنف أو بالشدة ، أو بحدّة الصوت أو حدة التصرف .

إنه لا يفقد وداعته أيضاً ، إن دافع عن الحق ... إنما يدافع عنه في هدوء ، دون أن يجرح شعور أحد ... كذلك إن تكلم بصراحة ، لا تكون صراحته جارحة . وإنما يعبر عما يريد قوله بأسلوب رقيق . . وفي هذه المناسبة نذكر أسلوب السيد المسيح مع المرأة السامرية . كشف لها كل شيء ، بغير أن يخدش حياءها ، أو يجرح شعورها (يوحنا ٤) .

* * *

والوديع الحقيقي لا يفقد وداعته بحجة الحزم أو الشجاعة ، أو بالفهم الخاطيء للقوة وللكرامة الشخصية .

* * *

ولا يحتاج أحد بفقد الوداعة بحجة أنه مولود بالطبع الناري . فموسى الأسود كان من هذا النوع ، ولكنه اكتسب الوداعة بحياة التوبة ، على الرغم من أنه بدأ حياته شديداً . ولكنه درب نفسه حتى تحول إلى إنسان طيب القلب جداً .

الوداعة والشجاعة

البعض يخطيء في فهم الوداعة ، فيتصور الوديع كشخصية خاملة ، بلا تأثير ولا فاعلية ويظن الوداعة رخاوة في الطبع !!

كأن يتحول الوديع - بسبب طبيعته - إلى أضحوكة وسط الناس ، يلهون به ، ويدوسون على كرامته . أو أنه بسبب احتماله للآخرين وعدم تدمره ، يصبح مهزأة . أو أيضاً بسبب عدم إدانته للناس ، لا يفعل شيئاً متى رأى الشر مسيطراً على الخير! كلا ، فليست هذه هي الوداعة .

* * *

إنما المفهوم الصحيح للوداعة ، لا يمنع مطلقاً من أن ترتبط بالرجولة والنخوة والشجاعة والشهامة ...

فنحن نتحدث عن الوداعة بأسلوب الحقائق ! ونقول إن الوديع هو إنسان طيب ومسالم ومهاود ، ونتغافل أن يكون ذا شجاعة ونخوة وشهامة ...

* * *

وأيضاً هناك كلمة عميقة قيلت في سفر الجامعة ، تنطبق على تصرف الوديع في مختلف المواقف والأحداث ، وهى :

« لكل شيء زمان ، ولكل أمر تحت السموات وقت ... للسكوت وقت وللتكلم وقت » (جا ٣ : ١ ، ٧) .

فمع أن الطيبة هى الطابع العام في حياة الوديع ، إلا أنه للشجاعة في حياته وقت ، وللشهامة وقت ، ولكن في غير عنف .

أمثلة :

★ السيد المسيح في وداعته وحزمه :

هذا المثل الأعلى الذى قيل عنه « لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته » ، نراه حازماً قوياً في تطهيره للهيكل ، حينما طرد الباعة ، وقال لهم « مكتوب بيتى بيت الصلاة يدعى ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوف » (مت ١٢ : ١٢ ، ١٣) .

وكان قوياً وحازماً أيضاً في توبيخه للكتبة والفريسيين « (مت ٢٣) .

وكان حازماً في شرح شريعة السبت وفعل الخيرفيه ، على الرغم من كل المعارضة التى لاقاها ...

* * *

★ مثال موسى النبي المشهور بحلمه العجيب .

حتى أنه قيل عنه « وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض » (عد ١٢ : ٣) . موسى هذا الذى نزل من الجبل ومعه لوحا الشريعة ، ووجد الشعب يعبد عجلاً ذهبياً ويغنى ويرقص ... لم يقف موقفاً سلبياً

باسم الحلم والوداعة ، بل حمى غضبه وطرح لوحى الشريعة من يديه وكسرها . ثم أخذ العجل الذى صنعوه ، وأحرقه بالنار ، وطحنه حتى صار ناعماً ، وذراه على وجه الماء (خر ٣٢ : ١٩ ، ٢٠) وانتهر هرون رئيس الكهنة ، حتى اضطرب بين يديه .

* مثال آخر هو داود النبى .

هذا الذى قيل عنه فى المزمور « اذكر يارب داود وكل دعتة » (مز ١٣٢ : ١) . كان موقفه جريئاً وشجاعاً ، لما رأى جليات يعير صفوف الله الحى ، بينما كان كل الجيش واقفاً فى خوف أمام ذلك الجبار...

أما داود الوديع فقال من هو هذا الأغلف حتى يعير شعب الله؟! وظل يكلم الناس بشأنه ، ولم يهمه إستهزاء أخيه الأكبر به . وأخيراً قال لشاول الملك « لا يسقط قلب أحد بسببه... » (١ صم ١٧ : ٣٢) . وذهب وحاربه ولم يخف منه ، بل قال له « أنت تأتى إلىّ بسيف وبرمح وبترس ، وأنا آتى إليك باسم رب الجنود... اليوم يجبسك الرب فى يدي... » (١ صم ١٧ : ٤٥ ، ٤٦) .

هذا هو داود الشاب الهادىء الأشقر ، صاحب المزمار والقيثار ، وفى نفس الوقت صاحب الغيرة ، ورجل الحرب جبار البأس...

* مثال ثالث هو بولس الرسول .

إنه إنسان طيب هادىء ، يقول لأهل كورنثوس فى توبيخه لهم « أطلب إليكم بوداعة المسيح وحلمه ، أنا نفسى بولس الذى هو فى الحضرة ذليل بينكم ، وأما فى الغيبة فمتجاسر عليكم... » (٢ كو ١٠ : ١) .

ويقول لشيوخ أفسس « متذكرين أنى ثلاث سنين ليلاً ونهاراً ، لم افتتر أن أنذر بدموع كل أحد » (أع ٢٠ : ٣١) . إنه رسول ، من حقه أن ينذر ، ولكنه بوداعة ينذر بدموع .

بولس هذا فى الكرازة والتبشير ، كان أسداً...

إنه حينما يتكلم عن البر والدينونة والتعفف أمام فيلكس الوالى ، يقول الكتاب « ارتعد فيلكس . وقال له إذهب الآن ، ومتى حصلت على وقت أستدعيك » (أع ٢٤ : ٢٥) ولما وقف أمام اغريباس الملك ، قال له الملك « بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً » (أع ٢٦ : ٢٨) .

* * *

وبولس هذا الوديع ، لم يمتنع عن توبيخ القديس بطرس الرسول . وقال « لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل ، قلت لبطرس قدام الجميع : إن كنت وأنت يهودى تعيش أممياً لا يهودياً ، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا » (غل ٢ : ١٤) .

* مثال رابع هو أليهو بن برخئيل :

كان الرابع بين أصدقاء أيوب . ومن وداعته ظل صامتاً بينما كان يتكلم أصحاب أيوب الثلاثة معه على مدى ٢٨ إصحاحاً . ولم يفتح أليهو فمه من فرط وداعته ، لأنهم كانوا أكبر منه سناً ...

وأخيراً لم يستطع أن يصبر هذا الوديع أكثر من هذا ، لما رأى أن الجميع قد أخطأوا . وفي ذلك يقول الكتاب « فحمى غضب اليهو بن برخئيل البوزى من عشيرة رام . على أيوب حمى غضبه ، لأنه حسب نفسه أبرّ من الله . وعلى أصحابه الثلاثة حمى غضبه ، لأنهم لم يجدوا كلاماً واستذنبوا وأيوب ... فقال لهم « أنا صغير فى الأيام ، وأنتم شيوخ ، لأجل ذلك خفت وخشيت أن أبدى لكم رأى .. » (أى ٣٢ : ٢ - ٧) ثم بدأ رسالته فى التوبيخ ...

حقاً لكل شىء تحت السموات وقت . لسكوت الوديع وقت ، ولكلامه وقت . لطيبته وقت ، ولحزمه وقت ...

ملاحظات

١ - هل تجد أحد أقربائك على وشك أن يتزوج مطلقة ، أو أية إنسانه لم تأخذ تصريحاً من الكنيسة ، أو زيجة بقراءة خاطئة لا يجوز فيها الزواج ... هى ترى كل هذا ،

وتسكت باسم الوداعة والهدوء ، دون أن تحذر قريبك ليبعد عن الزيجة الخاطئة ؟
كلا ، ليست هذه وداعة . إنما يجب أن تحذره من الموقف الخاطيء ، وتشرح له في
هدوء خطأ موقفه... ولا تكون ضد الوداعة في موقفك ، لأنك وضحت الموقف دون أن
تشتتم أو تجرح أو تخطيء . إنما عبارة القديس يوحنا المعمدان على فمك « لا يحل لك
أن تأخذ (هذه) زوجة لك ...

٢ - أو تجد أحد معارفك يريد أن يتزوج امرأة زواجاً عرفياً ، وتقف صامتاً باسم
الوداعة؟! كلا . قل له إن هذا أمر خاطيء لا يباركه الله ، يقودك إلى حياة خاطئة .
وليس في هذا شيء ضد الوداعة . إنما لا نقول لك أن تثور وتضج وتملأ الدنيا صياحاً
بل أن تنذر في هدوء...

٣ - إن الله يحب الحق ، ويجب أن يرى من يدافع عنه ، بأسلوب لا يخطيء فيه .
وفي ذلك يقول الرب في سفر أرميا النبي «طوفوا في شوارع أورشليم ، وفتشوا في
ساحاتها ، هل تجدون إنساناً أو يوجد عامل بالعدل ، طالب الحق ، فاصفح عنه»
(أر ٥ : ١) .

إذن الدفاع عن الحق فضيلة يطلبها الله ، إن سلكت فيها تسلك في الحق ولا يتنافى
هذا مع الوداعة مادام الأسلوب سليماً .

٩

مفهوم الحق والعدل

هو الصدق

أول مفهوم للحق أنه الصدق Truth :

وكثيراً ما كان السيد المسيح يبدأ كلامه بقوله « الحق أقول لكم » (مت ٥ : ١٨) (مت ٨ : ١٠) وأحياناً كان يكرر كلمة الحق ، فيقول « الحق الحق أقول لكم » (يوه : ١٩ ، ٢٤ ، ٢٥) (يوه : ٨ : ٣٤ ، ٥١ ، ٥٨) .

وفي المحاكم يقسم الشاهد قائلاً « أقول الحق ، كل الحق ، ولا شيء غير الحق » ... ذلك لأن هناك قاعدة هامة وهي :

« أنصاف الحقائق ليست كلها حقائق » .

خطورة أنصاف الحقائق

أو كما يقال « أنصاف الحقائق ليست إنصافاً للحقائق » .

فقد تأتي امرأة تشكو زوجها ، وتشرح أنه ضربها أو اهانها ... وتترك النصف الآخر من الحقيقة وهو إغاضتها . له بطريقة أثارتها ، فخرج عن وعيه أو فقد أعصابه ، فضربها ... وهكذا تذكر ما حدث لها كأنه تصرف من الزوج ، وليس مجرد رد فعل لتصرفها .

أو يذكر إنسان أن الكنيسة قد عاقبته ، أو أن إدارة عمله قد فصلته ، دون أن يذكر

السبب الذى من أجله قد عُوقب أو فُصل .

المهم أن كلامه لا يعطى صورة حقيقية عما حدث .

* * *

لذلك فى القضايا يحدث تحقيق . والمقصود به الوصول إلى الحقيقة .

وتتكامل الحقيقة حينما يبحث الأمر من جميع جوانبه . ويسمع الرأى ، والرأى الآخر . ويبحث السبب والنتيجة . وأيهما الفعل وأيهما رد الفعل ... أما الذى يسمع من جانب واحد ، فلا تتضح له الصورة الحقيقية . ولهذا يلجأ المحقق إلى المواجهة ، أى يقف كل جانب فى مواجهة الآخر .

* * *

فى كل قضية تعرض عليك ، يمكنك أن تسأل : لماذا ؟

وعلى رأى المثل « إذا عرف السبب ، بطل العجب » . فإن قال لك شخص مثلاً « أب إعترافى منعى أن أكلم فلاناً » ... فلا تقل فى نفسك عجباً ، هل أب الإعتراف يدعو إلى الخصام؟! « ... ربما لو أدركت السبب ، لعرفت مثلاً أن هذا الشخص عشرة له وسبب خطيئة ، أو أنه كل مرة يلتقى به يحدثه عن أمور تتعب ضميره ، وتسبب له أفكاراً متعبة ... أو أن يثيره ويغضبه ، وخلاصة القول إنه ينطبق عليه القول « المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة » (١ كو ١٥ : ٣٣) : أو تنطبق عليه عبارة « اعزلوا الخبيث من وسطكم » (١ كو ٥ : ١٣) ، أو « طوبى للرجل الذى ... وفى طريق الخطاة لا يقف ، وفى مجلس المستهزئين لا يجلس » (مز ١) .

* * *

أنصاف الحقائق التى ليست هى حقائق ، تنطبق أيضاً فى اللاهوتيات :

مثال ذلك من يستخدم آية واحدة ، ويترك باقى الآيات المتعلقة بالموضوع . والتى بها يتكامل فهم العقيدة . كأن يتكلم إنسان على الإيمان وحده فيقول لك : مكتوب « آمن بالرب يسوع ، فتخلص أنت وأهل بيتك » (أع ١٦ : ١٣) . مثل هذا نقول له : ضع إلى جوارها قول الرب « مَنْ آمن واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٦) . وأيضاً قول القديس بطرس الرسول لليهود الذين فى يوم الخمسين « توبوا ، وليعتمد كل واحد

منكم على إسم يسوع المسيح لغفران الخطايا ، فتقبلوا عطية الروح القدس » (أع ٢ : ٣٨).

نعم ، إن قال لك أحد : مكتوب ، قل له « مكتوب أيضاً » .

فهكذا فعل السيد المسيح في التجربة على الجبل ، مقدماً الطريقة المثلى للحوار ، وللدرد على الأفكار... وهكذا يكون الحق معناه الحقيقة كاملة . فإخفاء شيء منها ، قد يعطى فهماً خاطئاً .

حقوق الناس

معنى الحق أيضاً هو حقوق الإنسان his rights :

ومن هنا جاء المثل « اعط لكل ذي حق حقه » . ومن هنا جاءت أيضاً عبارة « حقوق الإنسان human rights » وهكذا كانت وزارة العدل تسمى قديماً « وزارة الحقانية » . وكلية القانون تسمى « كلية الحقوق » . أى التى تدرس فيها القوانين الخاصة بحقوق الناس ، ما لهم وما عليهم .

هنا كلمة حق ليست بمعنى صدق . وليس عكسها الكذب أو شهادة الزور ، وإنما عكسها هنا هو الظلم الذى تضيع فيه الحقوق .

ولعل من اشتقاقها هنا عبارة يستحق أو لا يستحق .

أى من حقه كذا ، أو ليس من حقه . وبنفس المعنى وبخ اللص اليمين على الصليب زميله اللص الآخر قائلاً : « أما نحن فبعدل جوزينا ، لأننا ننال استحقاق ما فعلنا » (لوقا ٢٣ : ٤١) .

ومن هنا أيضاً تأتى عبارة « يتناول باستحقاق من الأسرار المقدسة » أو يتناول بغير استحقاق (١كو ١١ : ٢٧) ، أى ليس من حقه أن يتناول ، فمناولة الأسرار تأخذ حقها من التوبة ونقاوة القلب .

لعله بنفس المعنى قال الابن الضال لأبيه « لست مستحقاً أن أدعى لك ابناً »
(لوقا : ١٥ : ٢١) . وقيل أيضاً « الفاعل مستحق أجرته » (مت : ١٠ : ١٠) (لوقا : ١٠ : ٧) .

الحق ضد الباطل

معنى آخر للحق ، وهو أنه ضد الزيف أو ضد الباطل .

فالذهب الحقيقي غير الذهب الزائف . والزواج الحقيقي (أى الشرعى) عكس
الزواج الباطل أى غير الشرعى . وهكذا يقال عن السيد المسيح إنه « النور الحقيقي »
(يو : ١ : ٩) . وقيل عن يوحنا المعمدان « لم يكن هو النور، بل ليشهد للنور » (يو : ١ : ٨) .

قال السيد المسيح عن نفسه « أنا هو نور العالم . من يتبعنى لا يسلك فى الظلمة »
(يو : ٨ : ١٢) . وقال لنا « أنتم نور العالم . » (مت : ٥ : ١٤) . ولكنه هو النور
الحقيقى ، لأنه نور فى ذاته . أما نحن ، فلسنا كذلك ، وإنما بنوره نعاين النور .
نور الشمس نور حقيقى . أما نور القمر فليس كذلك ، بل هو مجرد إنعكاس نور
الشمس عليه ، وبدون نورها يصبح مظلماً .

* * *

هنا كلمة حق أو حقيقى بمعنى True أو Genuine تدخل فى أمور عديدة :

قد يقول شخص إنه ابن فى الإعتراف لكاهن معين ، ولا يكون ابناً بالحقيقة لأنه
لا يطيعه ولا يستشيريه . وقد يقول شخص إنه قد تاب ، ولا يكون تائباً بالحقيقة لأنه فى
كل مرة يترك الخطية ، يرجع إليها مرة أخرى . وقد يقول شخص إنه يصلى ، وهو ليس
مصلياً بالحقيقة . لأنه يكلم الرب بشفتيه ، وقلبه مبتعد عنه بعيداً .

وقد يقول شخص إنه صائم ، وليس هو صائم بالحقيقة ، إنما هو مجرد إنسان نباتى ،
يتناول الأطعمة النباتية ويحرص أن تكون شهية . وليس له ضبط نفس أثناء الصوم ،
ولا ينطبق عليه قواعد الروحية .

* * *

هكذا بالنسبة إلى الله ، هو الإله الحقيقي وحده (يو ١٧ : ٣) .

لأن كثيرين دعوا آله ، كمجرد لقب ، ولم يكونوا آلهة بالحقيقة . كما رود في المزمور « الله قائم في مجمع الله . في وسط الآلهة يقضى » (مز ٨٢ : ١) . « ألم أقل أنكم آلهة ، وبنى العلى تدعون . ولكنكم مثل البشر تموتون ، وكأحد الرؤساء تسقطون » (مز ٨٢ : ٦ ، ٧) .

قال الرب لموسى « جعلتك إلهاً لفرعون » (خر ٧ : ١) . ولكن بمعنى « سيد » وليس بمعنى خالق ، أو كلى القدرة ، أو موجود في كل مكان . وقيل أيضاً أن آلهة الأمم شياطين [أو أصنام] (مز ٩٦ : ٥) . هنا الفرق بين الحق والزيف .

وبنفس الوضع تكلم بولس الرسول عن الأرامل :

فقال « ولا يثقل على الكنيسة ، لكى تساعدى اللواتى هن بالحقيقة أرامل » (١ تي ٥ : ١٦) .

وبنفس الوضع أيضاً يمكن التكلم عن المؤمن الحقيقي ، وأبناء الله بالحقيقة .

كثيرون لهم إسم أبناء الله ، ويصلون قائلين « أبانا الذى فى السموات » . ولكنهم ليسوا أبناء بالحقيقة ، ولا ينطبق عليهم قول القديس يوحنا الرسول « المولود من الله لا يخطىء ، والشيرير لا يمسه . ولا يستطيع أن يخطىء ، لأنه مولود من الله » (١ يو ٣ : ٩) . (١ يو ٥ : ١٨) . ولا ينطبق أيضاً عليه قول الرسول عن الرب « إن علمتم أنه بار هو ، فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه » (١ يو ٢ : ٢٩) .

كذلك من يقول إنه مؤمن ، ولا يبرهن على إيمانه بأعماله . يقول القديس يعقوب عنه « هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت » (يع ٢ : ٢٠) .

بل إن القديس بولس الرسول يقول عبارة خطيرة هى « جربوا أنفسكم هل أنتم فى الإيمان . امتحنوا أنفسكم » (٢ كو ١٣ : ٥) . بل ما أضعب تلك العبارة التى قالها

الرب لملاك كنيسة ساردس :

إن لك إسماً أنك حي ، وأنت ميت « (رؤ ٣ : ١) .

كلمة حي هنا ليست إسماً حقيقياً يستحقه ذلك الراعى . لأنه ليس حياً بالحقيقة ، إنما هو ميت روحياً .

* * *

إنما يبدأ الحق بالقيم التى يراعيها الإنسان فى حياته .

كل ما يتمشى مع القيم الروحية السليمة هو حق . وكل ما يتفق والعقائد اللاهوتية السليمة هو حق وغير ذلك زائف وزائل .

ضيق الحق

والحق أيضاً ضد الرياء :

ذلك لأن الرياء ضد الحقيقة . لأن فيه زيفاً ، إذ أن الداخل عكس الظاهر من الخارج . ولهذا السبب وبخ السيد المسيح الكتبة والفريسيين المرئيين ، لأنهم كانوا مثل القبور المبيضة من الخارج وفى الداخل عظام نتنة (مت ٢٣ : ٢٧) . فالمرئى يتظاهر بما ليس فيه . يعطى صورة جميلة عن نفسه ، وحقيقته غير ذلك تماماً .

* * *

النفاق أيضاً ضد الحق :

لأنه مديح باطل للغير ، أو دفاع عنه . بينما الحقيقة غير ذلك . وما يعتقد وما يوجد فى قلبه عكس ما يقوله بلسانه .

* * *

ويضيع الحق أيضاً تحت ستار المجاملة أو (الحب) .

أو تحت ستار الحب الزائف . وقد يدعى إنسان أنه صديق لشخص آخر ، بينما يجره

معه إلى الهاوية ، أو يشجعه على الخطأ ، ويكون هذا التشجيع ضد الحق ، يجعله يستمر فيما هو فيه من خطأ . وقد يدعى أنه يحبه ، بينما هو بهذا (الحب) الزائف يضيعه تماماً .

كالأم التى تظن أنها تحب ابنها ، فتدله تديلاً يفسده . ولا يكون حبها له حباً حقيقياً له القيم الحقيقية للحب .

وقد يدعى شاب أنه يحب فتاة ، بينما تكون علاقته بها شهوة وليست حباً . وتحت ستار ما يسميه (حباً) يضيع أخلاقها وسمعتها ومستقبلها . ولا يمكن أن يكون ما بينهما حباً بالمعنى الحقيقى للحب ، مادام قد خلا من القيم .

وفى هذا المجال ، نذكر أيضاً من يدافعون دفاعاً باطلاً عن المخطئين ، وينسون قول الكتاب :

مبرىء المذنب ، ومذنب البرىء ، كلاهما مكرهة للرب (أم ١٧ : ١٥) .

لماذا ؟ لأن كليهما ضد الحق . وقد ينفر البعض من عبارة « مذنب البرىء » إذ يرى فيها ظلماً . ولكن ما أكثر ما يوجد مبرىء المذنب ، ظاناً أن هذا لوناً من الإشفاق والرحمة ولكن هذا الإشفاق ضد الحق من جهة . ومن جهة أخرى لأنه ليس إشفاقاً حقيقياً . فالمشفق الحقيقى هو الذى يقود المذنب إلى التوبة ، ومن شروط التوبة الاعتراف بالذنب ، والإقلاع عنه . أما تبرئة المذنب فإنها تشعره بأنه لم يفعل خطأ ، فيستمر فيما هو فيه ، ويفقد الندم وإنسحاق القلب . ويكون من برأه قد أضربه ...

وقد يبرىء إنسان شخصاً مذنباً ، ويكون ذلك عن جهل .

و يكون هو أيضاً مكرهة للرب ، لأنه لم يبحث عن الحقيقة ، أو على الأقل فعل ما هو ضد الحقيقة ولو عن جهل وربما فيما يكون مبرئاً لشخص مذنب ، يكون مذنباً لشخص آخر برىء ، يكون قد ظلمه بهذا وأساء إليه . وفى كل الحالات هو بعيد عن الحق ، أو هو ظالم للحقيقة ... ونصيحتهى لمثل هؤلاء :

دافع عن الحق ، بدلاً من أن تدافع عن شخص .

* * *

وقد يكون دفاعك عنه ضد الحق .

ولكى تدافع عن الحق ، ينبغي أن تعرف الحق . وكثيرون ليست لهم هذه المعرفة . وقد يسبغون في جو من الشائعات . وقد يتلقون المعلومات عن أشخاص هم أيضاً ليست لهم المعرفة الحقيقية .

وما أكثر ما نجد أشخاصاً يقول الواحد منهم « أنا أدافع عن الحق ، بينما يكون ما يدافع عنه بعيداً عن الحق تماماً ... »

* * *

أو قد يوجد إنسان يدافع عن الحق ، أو عما يظنه حقاً ، بأسلوب بعيد عن الحق تماماً .

أو يتجاوز حقه في الكلام ، أو يقول كلاماً ليس من حقه أن يقوله ، أو يلجأ إلى طرق التشهير والإذانة والإيذاء وجرح شعور الآخرين ، أو نشر معلومات خاطئة . ويكون بذلك قد أساء إلى غيره إساءة كبيرة ، ووقع في أخطاء عديدة يدينه الله عليها .

* * *

ويبدو أنه يدافع عن (الحق) بطريقة غير قانونية !

ويمكن أن يسأله البعض « وهل من حقك أن تفعل هكذا؟! » . ويكون الحق قد ضاع في دفاعه عن (الحق) ، أو عما يظنه أنه حقاً .

إذا أردتم أن تتمسكوا بالحق ، ابعثوا عن الشائعات ، ولا تصدقوا كل خبر يصل إليكم وتذكروا أن الذي ضد الحق ، هو ضد الله نفسه . فلماذا؟

لأن الله هو الحق . هو الحق المطلق .!

الحق هو الله

قال السيد المسيح له المجد « تعرفون الحق ، والحق يحرككم » (يوحنا : ٨ : ٣٢) . وقال

أيضاً «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو ١٤ : ٦) . فالذى يبعد عن الحق ، إنما يبعد عن الله . وهنا الخطورة .

والإنسان الحقانى هو إنسان عادل . وإنسان له قيم فى الحياة يسير بموجبها . والإنسان الحقانى فيه روح الله ، لأنه روح الحق (يو ١٤ : ١٧) (يو ١٥ : ٢٦) . إذن البعيد عن الحق ، بعيد عن روح الله . الذى ينفصل عن الحق ، ينفصل عن الله .

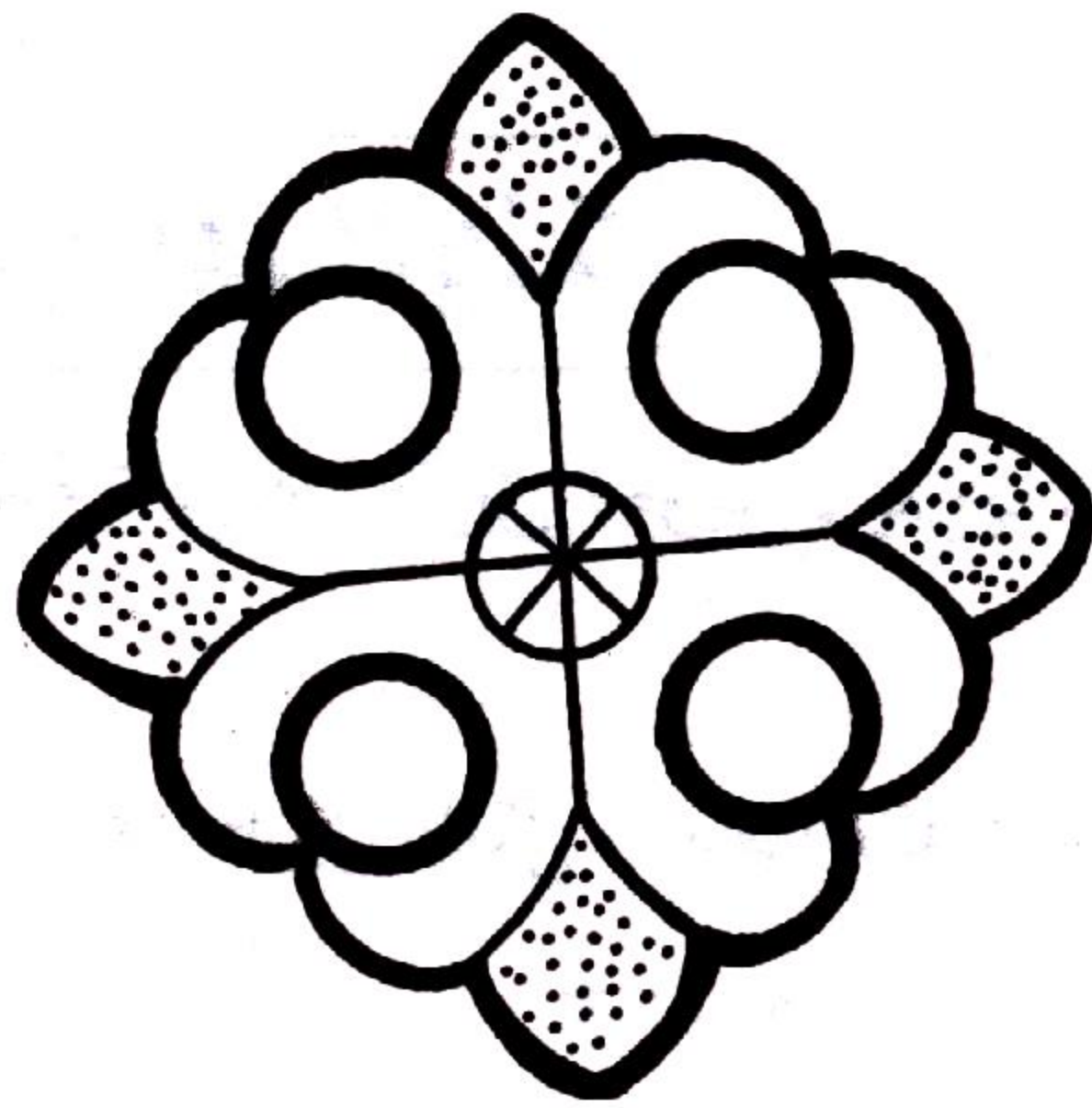
كذلك الإنسان الحقانى لا يكيل بكيلىن : لمحبيه بكيلى ، ولغيرهم بكيلى آخر . ويكون فى ذلك قد انفصل أيضاً عن الحق .

لما انفصل الشيطان عن عشرة الله ، قال عنه الرب «إنه كذاب وأب لكل كذاب» (يو ٨ : ٤٤) . وقال عنه «ذاك كان قتالاً للناس منذ البدء ، ولم يثبت فى الحق ، وليس فيه الحق» (يو ٨ : ٤٤) .

انظروا أية عقوبة عوقب بها حنانيا وسفيرا لأنهما لم يقولا الحق .

وقال القديس بطرس لحنانيا «أنت لم تكذب على الناس ، بل على الله» (أع ٥ :

٤) .



١٠

مفهوم المعرفة

لقد أعطانا الرب عقلاً يمكنه أن يعرف :

ولكنه أراد لنا أن نعرف ما يفيدنا وينفعنا .

وأيضاً ما يفيد وينفع الآخرين ، أفراداً كانوا أو جماعات .

غير أن المشكلة التي قابلت الإنسان منذ البدء ، هي أنه أراد أن يعرف وحسب ، ولو أن يعرف الشر... كان الإنسان الأول يعرف الخير فقط . ولكنه أكل من شجرة معرفة الخير والشر... فصار يعرف الشر أيضاً . وبهذا أضر نفسه .

تأكد من سلامة كل معرفة تصل إليك .

وتأكد من فائدتها قبل أن تقبلها .

واعرف أن المعرفة ليست غاية في ذاتها ، وإنما هي وسيلة لمنفعتك . اختر إذن هذا

اللون من المعرفة النافعة .

أنواع من المعرفة

هناك معرفة حسية تأتي عن طريق الحواس ، يعرفها الناس بالنظر ، أو باللمس ، أو بالشم ، أو بالسمع .

وهناك معرفة تأتي عن طريق العقل ، يعرفها بالدراسة أو الإبتنتاج .

وهناك معرفة هي نوع من الكشف الإلهي أو الإعلان الإلهي :

يكشف بها الرب لقديسيه ما يريد لهم أن يعرفوه . وذلك بواسطة الروح القدس

الذى قيل عنه في سفر أشعياء النبي «روح الحكمة والفهم... روح المعرفة»
(أش ١١ : ٢). وهى التى كان يطلبها المرتل فى صلواته قائلاً «عرفنى طرقك،
فهمنى سبلك».

إنها أعظم معرفة، هذه التى نقول عنها فى القداس الغريغورى «أعطينى علم
معرفتك» هذه أيضاً التى قال عنها السيد المسيح فى مناجاته للآب «هذه هى الحياة
الأبدية أن تعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك...» (يو ١٧ : ٣). وقال أيضاً «أيها
الآب البار إن العالم لم يعرفك، أما أنا فقد عرفتك...» (يو ١٧ : ٢٥). وقال عن
تلاميذه فى منحه لهم لهذه المعرفة الإلهية «عرفتهم إسمك وسأعرفهم، ليكون فيهم
الحب الذى أحببتنى به، وأكون أنا فيهم» (يو ١٧ : ٢٦).

إذن هى المعرفة التى تقود إلى محبة الله، وإلى سكناه فىنا.

العالم شغوف أن يبحث عن المعرفة التى تعطيه فكرة عن القمر والكواكب،
بسفن الفضاء التى تكلفه أموالاً طائلة جداً... ولكن ليس بنفس الشوق إطلاقاتاً إلى
معرفة الله... إنه يسعد جداً أن أحضر بعض حجارة من القمر، أو بعض صور، لأنها
تعطيه بعض المعرفة عن الطبيعة التى من خلق الله، دون أن يسعد بمعرفة الله ذاته...

ونفس الكلام يقال عن كثير من الإكتشافات التى يقوم بها الإنسان...

وهناك معرفة تأتى من الآخرين.

عن طريق الكتب، أو الصحف، أو الأفلام، أو وسائل الإعلام المتعددة...
ومعرفة تأتى عن طريق الأصدقاء أو الزملاء.

وهناك معرفة تأتى عن طريق الشيطان.

إما يلقيها إلى أذهان الناس، كما فعل مع حواء. وقد يلقي الشيطان معرفة ما عن
طريق فكر أو حلم أو بواسطة أحد جنوده... وقد تكون معرفة كاذبة. أو قد تكون

صحيحة ، ولكنه لم يستغلها من أجل غرض سيء ...

وربما يسعى الإنسان بنفسه ليحصل على معرفة من الشيطان عن طريق السحر، أو استشارة الموتى أو الأرواح ، أو بطرق عديدة... هذا الذى نهى عنه الوحي الإلهى بقوله « لا يكن فيك من ... يعرف عرافة ، ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر، ولا من يسأل جانا أو تابعة ، ولا من يستشير الموتى . لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب ..» (تث ١٨ : ١٠ ، ١١) .

ومن أمثلة من وقعوا فى هذا الأمر شاوول الملك ، حينما طلب المعرفة عن طريق صاحبة جان كانت عرافة فى عين دور (١ صم ٢٨ : ٧) .

ومن أمثلة هؤلاء أيضاً : من يلجأون إلى المنجمين ، وإلى قارئى الكف والفتجان ، وإلى ضاربي الرمل ، وإلى إستشارة الأرواح عن طريق التنويم المغناطيسى أو البندول ، وما أشبهه ... من الأمور التى وصفها الرب بأنها رجس الأمم (تث ١٨ : ٩ ، ١٢) .

ما الذى تعرفه من يقينية هذه الأخبار، أو مدى استخدامها للضلالة؟! ... اعرف جيداً أن الشيطان إن أعطاك معرفة ما ، لا يعطيها لك مجاناً ، أو بدون مقابل . ولا يعطيها بدون هدف شيطاني يريد الوصول إليه للإضرار بك ، أو لجعلك تحت سلطانه أو تحت إرشاده...

نوع آخر من المعرفة هو أن تعرف نفسك .

هذه الحكمة التى دعا إليها سقراط الفيلسوف : « اعرف نفسك » .

وما أعظم الفوائد التى تحصل عليها من معرفة النفس . تعرف أنك تراب ورماد ، لكى تتضع . وتعرف خطاياك لكى تندم وتتوب وتنسحق نفسك . وتعرف طبيعتك وحروبك ، لكى تنجو منها . بل تعرف مواهبك ، لكى تستخدمها لتمجيد الله .

معرفة أخرى هي أن تعرف كتاب الله ووصاياه .

كما قال القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس « وأنت منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكّمك للخلاص بالإيمان .. » (٢تى ٣ : ١٥) ...
هذا الكتاب الذى هو « نافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب الذى فى البر » (٢تى ٣ : ١٦) . وهو الذى بمعرفته تعرف طريق الرب ، وتعرف كيف سار فيه القديسون .

وبهذه المعرفة تدخل إلى الحكمة والتمييز .

وتعرف ما هو الخير لك ، وتميز طريق الله وضلالة الشياطين وحيلهم . بل إن عرفت هذا « تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً » (١تى ٤ : ١٦) .
وبهذه المعرفة تميز بين الأرواح . كما قال القديس يوحنا الرسول « لا تصدقوا كل روح . بل امتحنوا الأرواح هل هى من الله . لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم » (١يو ٤ : ١) .

أيضاً أعرف غيرك ، لكى تعرف كيف تتعامل معه .

وهذا كما ينطبق فى محيط الصداقة ، وفى محيط العمل والحياة الإجتماعية ، ينطبق أيضاً فى محيط الأسرة . حيث يعرف كل من الزوجين طبيعة شريكه فى الحياة وكيفية التعامل معه . بل ويعرف نفسية الطفل وكيف يعامله . وفى الحياة الإجتماعية يعرف نفسية المعوق ، ونفسية العاقر ، ونفسية المراهق ، وكيف يتعامل مع كل هؤلاء ...

اعرف الله . واعرف أنه يراك حيثما كنت .

ويعرف أفكارك ونياتك وشهواتك وخطاياك ، لكى يدركك الخجل من كل فكر شرير ومن كل شهوة بطالة . بل ضع أمامك العبارة التى كررها الرب فى كل رسائله إلى ملائكة الكنائس السبع التى فى آسيا : « أنا عارف أعمالك » (رؤ ٢ ، ٣) .
وبهذه المعرفة تدخل إلى قلبك مخافة الله ...

اهتم بمعرفة الحق . وإن عرفته اتبعه .

وما أجل قول داود النبي في المزمور الكبير « اكشف عن عيني ، لئلا تعانينا الأباطيل » (مز ١١٩) .

وحاول أن تعرف أيضاً احتياجات الناس ، لكي تدبرها لهم .

وأن تعرف طريق الخلاص ، لكي تمشي فيه ، وتقود الناس إليه .

واحترس من المعارف التي فوق مستواك .

التي قال عنها أيوب النبي « قد نطقت بما لم أفهم . بعجائب فوقى لم أعرفها »
(أى ٤٢ : ٣) ... فكثير من الناس يبحثون في الإلهيات فوق مستواهم فيضلون ...
وكثيرون يبحثون في أمور خاصة بعالم الأرواح فتضل أفكارهم ... أما أنت فتواضع ...

وابحث عن الأمور التي توصلك إلى خلاص نفسك

المعرفة الضارة

هناك معرفة ضارة جداً ، مثل التي وقع فيها أبونا آدم وأمنا حواء . وكانت النتيجة
أنهما فقدوا البراءة والبساطة التي كانت لهما . وعاشا في ثنائية الخير والشر ، الحق
والباطل ، الحرام والحلال ... هذه الثنائية التي عاش فيها أولادهما إلى يومنا الحاضر .

ولذلك ما أصدق قول الحكيم في سفر الجامعة :

الذي يزداد علماً ، يزداد غمماً (جا ١ : ١٨) .

ويقصد طبعاً معرفة الإنسان بأمور تضره ، ليست من صالحه . ويجمع في فكره
أشياء تؤذيه . وللأسف يدعى أن معرفة تلك الأمور الضارة لوناً من الثقافة العامة !!

لذلك قال أحد الآباء الروحيين كلمة لطيفة جداً وهي :

أحياناً نجهد أنفسنا في معرفة أمور ، لسنا نلام في يوم الدين على جهلنا إياها .

فإن كنا لا نلام على معرفة هذه الأمور، فكم وكم يحاسبنا الله على معرفة الأمور
التي تضرنا، ونتائجها السيئة علينا.

* * *

ضع في ذهنك مدى نتائج تلك المعرفة الضارة .
ما يدخل في ذهنك من معارف، يؤثر على حواسك ومشاعرك، وقد يؤثر على
علاقتك بالآخرين. بل بالأكثر من هذا يُخزن في عقلك الباطن...
ثم يخرج من عقلك الباطن، على هيئة ظنون أو أفكار أو أحلام... وإذا بهذه المعرفة
التي أخذتها قد امتدت في داخلك وخارجك إلى نطاق واسع، وقد لا تستطيع أن تحد
إنتشارها ومدى أضرارها...

علينا إذن أن نستخدم قدرة عقلنا في المعرفة، في ما ينفعنا و ينفع غيرنا.

* * *

كم من أناس بكوا بدموع بسبب معارف خزنها في أذهانهم .

وقالوا يا ليتنا ما كنا عرفنا، سواء بالقراءة أو الحواس...

ويحتارون كيف يمكنهم إخراج ما في ذهنهم من معلومات رسخت فيه... مثلهم في
ذلك مثل الذين وقعوا في إدمان نوع من المخدرات Drugs، وأصبحوا عاجزين عن
الخروج من سيطرة ما قد أدمنوا عليه...

* * *

هناك ألوان من المعرفة تغير نظرة الإنسان إلى كثير من الأمور، وتغير نظرتهم
أيضاً إلى بعض الناس .

أما حواء: بعد أن أخذت من الحية معرفة ضارة خداعة، تغيرت نظرة حواء إلى
شجرة معرفة الخير والشر، التي كانت في وسط الجنة، وربما كانت تراها كل يوم...

بعد ما دخل ذهن حواء من معرفة «رأت أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة
للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر» (تك ٣: ٦). وبعد أن تغيرت نظرتها هذه إلى
الشجرة، دخلت شهوة الأكل منها إلى قلبها «فأخذت من ثمرها، وأكلت وأعطت
رجلها أيضاً معها فأكل» .

مثال آخر للمعرفة الضارة وهو الشك . وكما قال أحد العلماء :

سهل أن يدخل الشك إلى عقل إنسان .

ولكن ما أصعب خروج هذا الشك من عقله .

فإن أملت أذنك لمن يلقي في قلبك شكاً من جهة إنسان باثباتات معينة قد تكون زائفة ... أو إن سمحت لنفسك أن تقرأ قراءات خطيرة تشككك في الإيمان أو في الكتاب ... قد تبذل جهداً كبيراً للخروج من هذا الشك ... وقد يبقى معك فترة طويلة ، إلى أن تفتقدك النعمة ، فترجحك منه ...

لذلك يلزم أن يدقق كل إنسان في اختيار مصادر معرفته .

احتفظ بنقاوة فكرك ، ولا تلوّثه بمعرفة ضارة . وينبغي أن تدقق كثيراً في كل ما تقرأه ، وكل ما تسمعه ، وكل ما تراه . وتدقق أيضاً في اختيار الأصدقاء الذين يصبون معلومات في أذنيك ، أو ينقلون خبرة أمور ضارة ، أو أخباراً ضارة ، أو أفكاراً متعبة ... ولا تسمح لكل تلك المعرفة أن تثبت في ذهنك ، إلا بعد أن تتحقق منها تماماً ، وتعرف الحق فيها من الباطل والزيف ...

ولا تظن أن الأفكار عواقر ، بل ما أكثر ما تلد أفكاراً أخرى كثيرة .

بل ربما كلمة واحدة تصل إلى ذهنك ، فتلد حكاية أو حكايات .

وأعرف أن الوقاية من الفكر ، خير بكثير من قبوله ثم محاولة التخلص منه ...

واحترس جداً من نقل المعرفة والأفكار ...

ربما تصل إليك معرفة تضرك . وتنقلها أنت بدورك إلى غيرك فتضره . ثم بعد أن تقاسى من تلك المعرفة ، تحاول أن تتخلص منها . وربما تتخلص بنعمة من الرب . ولكن ما نقلته إلى الغير لا يزال ثابتاً فيه ، تضره معرفته ... وتكون أنت مداناً عن ضرر غيرك ، لأنك كنت السبب فيه . وحينئذ لا تتعبك خطيئتك في معرفتك ، بل تتعبك خطيئتك في نقل تلك المعرفة الضارة إلى غيرك .

إنه ماضيك الذى يطاردك : المعرفة الضارة التى نشرتها .

سواء نقلتها بالكلام ، أو بالكتابة ، أو بطرق حسية كثيرة ...

ومن ذلك فإن الذين يقعون فى التشهير بالغير، الذين ينقلون أخباراً سيئة عن أخطاء الغير، أو ما يظنونها أخطاء، أو ما يخترعونها ... ويل لهم إذا استيقظت ضمائرهم، وبدأت تلومهم على ما كانوا يقولونه من قبل .

و يدخل فى هذا النطاق الذين يطلقون الشائعات أو ينشرونها، سواء بقصد الإيذاء أو لمجرد التسلية الخاطئة بالتحدث عن أسرار الآخرين، التى يلذ لهم الحديث عنها : إما كما هى، أو بإضافة استنتاجات من خيالهم ...

معرفة التافهات

إن عقلك مثل كومبيوتر، له طاقة معينة فى جمع المعلومات .

فلا تشغل جزءاً كبيراً فيه بأمر تافه، تعطله عن تسجيل ما ينفعه ...

وهكذا لا تخزن فيه إلا ما تحتاج إليه وما يلزمك فى حياتك بحيث تخرج منه تلك المعرفة فى الوقت المناسب، لهدف نافع ... واعلم أن ما تخزنه فى عقلك لا بد سيخرج منه أردت أو لم ترد ... وربما معلومات قد خزنتها فى عقلك الباطن منذ سنوات، تجدها تخرج من ذاكرتك فى موعد لا تتوقعه، أو فى مناسبة ما كنت تدريها .

البعض يستخدم عقله فى جمع معارف فانية وباطلة .

قد لا تكون فى حد ذاتها خطية، ولكنها أمور تافهة تشغل عقله، وتعطل هذا العقل عن الإنشغال بالروحيات والإلهيات، أى أنها تعطل العمل الإيجابى فى بناء حياتهم الروحية، وفى تعطيل ذهنهم عن التأمل النافع .

وقد ينقلون هذه المعرفة التافهة إلى الآخرين .

فى أحاديثهم التى تشغل آذان الناس وأذهانهم، وبالتالى تشغل أفكارهم أيضاً، دون أية فائدة من ذلك كله إلا ضياع الوقت الذى يمكن استخدامه فيما ينفع .

يا ليت عقلك لا تشغله إلا المعرفة التى تبنيه، وتكون سبباً فى تقوية شخصيته، والسمو بإنسانيته ونموه الروحى ... وفى نفع الإنسانية أو المجتمع الذى تعيش فيه ...

فهرست الكتاب

صفحة

المقدمة	٥
١ - مفهوم القوة	٧
القوة صفة من صفات الله	٧
مصادر القوة	٨
قوة الروح	١٠
قوة النفس	١١
قوة الأعصاب	١٣
قوة المحبة	١٤
قوة الشخصية	١٥
قوة الإرادة	١٦
قوة الصلاة والإيمان	١٧
٢ - مفهوم الحرية	١٩
٣ - مفهوم الراحة والتعب	٢٣
أنواع من الراحة	٢٣
راحة الجسد	٢٤
التعب بين النفس والروح	٢٦
التعب الداخلي	٢٧
راحة الضمير	٢٨
في الخدمة	٢٩
٤ - مفهوم الطموح	٣٠
الطموح	٣٠
الطموح الخاطيء	٣١
الفرق بين النوعين	٣٤

٣٨	٥ - مفهوم الخطية
٣٨	الخطية ضد الله
٤٣	الخطية من جهة الإنسان
٤٦	٦ - مفهوم الحب والصدقة
٤٦	الحب أولاً لله
٤٧	أنواع من المحبة
٥٠	الصدقة
٥١	المحبة الخاطئة
٥٥	المحبة العملية
٥٦	العلاقة مع الله
٥٨	٧ - مفهوم العثرة
٥٨	ما هي العثرة
٥٩	معرفة الخطية
٦٠	تسهيل الخطية
٦١	مذاقة الخطية ، وإسم آخر للخطية
٦١	أنواع من العثرات
٦٢	القدوة السيئة
٦٣	الثقافة والإعلام
٦٤	الكبير والصغير
٦٦	الضمير
٦٨	الرياء
٦٩	٨ - مفهوم الوداعة
٦٩	أهمية الوداعة - ما هي الوداعة
٧١	فقد الوداعة
٧٢	الوداعة والشجاعة
٧٥	ملاحظات

٧٧ مفهوم الحق والعدل	٩
٧٧ هو الصدق	
٧٧ خطورة أنصاف الحقائق	
٧٩ حقوق الناس	
٨٠ الحق ضد الباطل	
٨٢ ضياع الحق	
٨٤ الحق هو الله	
٨٦ مفهوم المعرفة	١٠
٨٦ أنواع من المعرفة	
٩٠ المعرفة الضارة	
٩٣ معرفة التافهات	

في هذا الكتاب

بسم الآب والإبن والروح القدس
إله واحد آمين

في هذا الكتاب نقدم لك، وللشباب

بوجه خاص عشرة مفاهيم هي :

- ١ - مفهوم القوة .
- ٢ - مفهوم الحرية .
- ٣ - مفهوم الراحة والتعب .
- ٤ - مفهوم الطموح .
- ٥ - مفهوم الخطية .
- ٦ - مفهوم الحب والصدقة .
- ٧ - مفهوم العثرة .
- ٨ - مفهوم الوداعة .
- ٩ - مفهوم الحق والعدل .
- ١٠ - مفهوم المعرفة .

وذلك حتى لا يتوه العقل وسط

مسميات ليس داخلها محتوى سليم.
وإنما يعرف الفهم السليم لكل هذه
الأمور .

وليعطنا الرب فهماً، من روحه

القدوس .

البابا شنودة الثالث

الثمن : حنيه